

روايات مصرية للجيب
زهور
96
يارا
Looloo
www.dvd4arab.com

هذه السلسلة ..

عندما تتحوَّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب.. وفى لحظات الكراهية.. وفى لحظات الجفاف.. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفي هذا الزمن الذي طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١

دارت (يارا) فى الحجرة قلقة ، حائرة دون سبب .. شعرت بشىء مجهول داخلها ، وكأنها تريد فعل شىء ما ، لكنها لم تعرف ماذا تريد بالضبط ... كانت تشعر كأن شيئًا ما ينقصها .. أنها تحتاج لشىء ..

لكن ما هو ؟

نعم هناك الكثير من الأشياء أرادتها لكن يوجد شىء ما هو الأكثر أهمية وهو الذى سيمنحها الرضا .. أو هكذا تمنت على الأقل .. ولكنها لم تعرف أو لم تقرر ما هو بالضبط ...

وقفت أمام المرآة وتأملت نفسها ، كانت مرآة كبيرة تتيح لها رؤية نفسها بالكامل .. تحركت يمينًا وشمالاً لترى شكلها من جميع الزوايا ..

كانت راضية عن قوامها النحيل ـ برغم اعتراض الكثيرين وأولهم أمها عليه ـ الشىء الوحيد الذى كان

يرضيها فى نفسها ولا تحاول تغييره .. ثم اقتربت من المرآة تتأمل وجهها وبشرتها البرونزية الخالية من العيوب وعينيها العسليتين ..

ضايقها شكل شعرها وبعثرته ، فحاولت لملمة خصلاته المتمردة دون جدوى ..

نفد صبرها من شعرها هذا .. فبحثت عن مقص لتقصره وتجعل السيطرة عليه أسهل .. مشطته ليتدلى أمام وجهها وبدأت تقصه .

ـ ماذا تفعلين ؟؟!!

فوجئت بصراخ أمها ، فلم تكن قد شعرت بها وهى تدخل الحجرة .. لكنها لم تهتز ، وأكملت قص شعرها فى هدوء .. فلا يعقل أن تتركه نصف مقصوص !!!

تابعت أمها التساؤل فى غضب :

ـ ما هذا ؟

ـ أقص شعرى .

ردت (يارا) فى هدوء بعدما رفعت رأسها وأرجعت شعرها للوراء بحركة واحدة قوية :

ـ أعرف أنك تقصين شعرك .. لكن لماذا .. ولماذا لم تستأذنينى ؟

دافعت (يارا) عن نفسها أمام هجوم أمها :

ـ لقد أردت تقصيره .

ـ هكذا دون أخذ أذنى .

ـ آسفة .

اعتذرت (يارا) فى هدوء أزعج أمها ، لم تملك إلا التنبيه عليها قائلة :

ـ لا تكرريها مرة أخرى .

حركت (يارا) رأسها موافقة ..

ـ حاضر .

لم تعترض (يارا) ، فلم تجد أمها ما تضيفه فتركتها وهى تضرب كفا بكف من تصرفات ابنتها غير المعقولة .

فكرت (يارا) فى رفض ما قالته أمها ، هل يعقل أن عليها استئذانها لتقص شعرها وبنفسها ! مجرد أن تمسك المقص وتقص بعض خصلات شعرها أمر يحتاج أخذ إذن أمها ؟؟!! وأين حريتها ؟ أين استقلاليتها ؟! كانت تعلم أنها لو جادلت أمها وقالت لها ذلك فلن ينتهى الجدال بينهما .. وستغضب أمها وتفرض رأيها عليها فى نهاية الأمر .

أمسكت (يارا) الفرشاة وبدأت تمشط شعرها فى صبر وهدوء ، وكأن حياتها تتوقف على هذا العمل ..

عندما انتهت وجدت أنها بتقصير شعرها زادت من تمرد خصلاته وجعلت محاولة لملمته وتنظيمه مهمة شاقة أكثر من ذى قبل ...

★ ★ ★

عادت تدور فى الحجرة ...

لم تكن تفكر فى شىء محدد لكن عقلها ظل يعمل دون توقف ..

ماذا تريد ؟؟!!

ألصقت كفيها ببعضهما وأسندت ذقنها على أطراف أصابعها وبدأت تصفق بهدوء بأصابعها بحركة رتيبة ...

عادت تجلس أمام المرآة .. نظرت إلى شعرها نظرة متفحصة ، ثم أمسكت بدبابيس شعر وأخذت تثبت خصلات شعرها للوراء ...

ثم أمسكت أدوات الزينة وبدأت تزين وجهها فى صبر ...

زادت من اتساع عينيها العسليتين ، وقللت من اتساع شفتيها ، وحاولت التقليل من حدة خطوط وجهها فى الوجنتين والذقن ، قضت وقتًا لابأس به فى عمل زينة دقيقة ومتقنة لوجهها ثم تأملتها بعين خبيرة وناقدة ...

ولما لم تر أى عيب ذهبت لترى أمها ما فعلته ..

لم تتكلم (يارا) ، وإنما وقفت فى مواجهتها وهى تعد

الطعام فى المطبخ، تأملتها أمها بعين متفحصة، معتادة على تصرف (يارا) هذا:

- ظلال الجفون غير مضبوطة.

تركتها (يارا) وعادت إلى حجرتها لترى إذا كان مع أمها حق، فوجدت كلامها صحيح، فأخذت تصلح زينتها فى هدوء وصبر.. ثم عادت لترى أمها النتيجة:

- مضبوط.

ابتسمت (يارا) لنفسها سعيدة بتعليق أمها، وعادت مرة أخرى لحجرتها وبدأت تزيل زينة وجهها فى صبر وهدوء أكبر من صبرها فى وضعه، ولم تتوقف حتى أزالت كل أثر للزينة من وجهها، وجعلته يعود نظيفا وظهرت نضارته الطبيعية مرة أخرى...

كان ذهن (يارا) قد أصبح أصفى الآن، خطر على بالها فكرة وبدأت فى تنفيذها على الفور..

أخذت تبحث عن نوتة أرقام الهاتف فى كل مكان فى الحجرة، لم تتذكر أين وضعتها آخر مرة..

بحثت فى كل مكان تتوقع أن تكون فيه حتى أعياها البحث دون أن تجد شيئا، وجلست على سريرها تحاول تذكر أين تركتها آخر مرة.. عصرت عقلها للتذكر.. ضربت جبهتها بيدها بحركة تلقائية معتادة وهى تردد فى عقلها «أين ... أين ... أين ..»

قفزت فجأة متذكرة، فتحت دولاب ملابسها وبحثت عن سروالها الأزرق، وعندما وجدته مدت يدها فى جيوبه لتخرج النوتة.. وأمسكتها فى يدها منتصرة.

ارتدت ملابسها، وأخذت محفظة النقود، وأخبرت أمها أنها ستذهب للاتصال بالهاتف، فهزت أمها رأسها موافقة.. انطلقت (يارا) مسرعة دون أن تنسى إغلاق الباب برفق حتى لاتتضايق أمها كالعادة وتؤنبها..

نزلت السلالم اثنتين اثنتين، ولم تتوان عن القفز آخر درجتين... خرجت إلى الشارع ومشت قليلاً حتى أقرب كابينة هاتف عام، فتحت محفظتها وبحثت عن (كارت) الهاتف وأخرجته.. ارتاحت لعدم وجود أحد

يستعمل الهاتف ، ولم يكن عليها الانتظار فى الشارع .

وضعت الكارت فى ماكينة الهاتف وألقت نظرة على رصيده ، ثم أسرعت تبحث تحت حرف الألف عن رقم (أمينة) زميلتها .

سلمت على عجل ثم سألتها :

ـ هل هناك أخبار عن نتيجة المعادلة ؟؟

ردت (أمينة) بصوت محبط :

ـ لا ، لم تظهر بعد .

لم تجد (يارا) كلامًا تكمل به المكالمة ..

ـ سأتصل بك مرة أخرى .

أنهت الاتصال على عجل ، وقد فقدت حماستها دفعة واحدة كما بدأت ، وفقدت الرغبة فى الكلام ..

كانت (أمينة) قد دخلت معها امتحان معادلة دبلوم الصنايع بالثانوية العامة السنة الماضية ، وفشلت فيه هى الأخرى ..

سقوطها السنة الماضية أثر فيها وجعلها غير راضية عن شىء ، لكنه لم يثبط عزمها فى إعادة المحاولة حتى إنها هى التى شجعت (أمينة) ، أو بمعنى أصح جرتها معها فى المحاولة الثانية .

عادت (يارا) إلى المنزل ودخلت حجرتها وأغلقت على نفسها ، انتظار النتيجة كان يحرق أعصابها ...

دخلت أمها الحجرة ، تضايقت (يارا) لأنها لم تطرق الباب ، لكنها لم تستطع إخبارها بذلك ..

ـ ماذا حدث ؟

ـ لاشىء .

نظرت لها أمها فى لوم وقالت :

ـ لِمَ لم تأتِ لتطمئنينى يا بنيتى ؟ ألاتعرفين أنى أنتظر الخبر مثلك !

لم ترد (يارا) لم يكن من الممكن أن تقول ماتفكر فيه ، ولم يكن لديها استعداد لقول كلام آخر ، كانت (يارا) تفكر فى أنه لا أحد ينتظر مثلها ...

ملأها الضيق ؛ لأن الدراسة ستبدأ الأسبوع القادم فى الكليات ، وكانت تتمنى أن تظهر نتيجتها قبل ذلك ، دبلوم الصنايع قسم التجميل الذى حصلت عليه ، لأى شىء يؤهلها ؟

نعم هى دخلت بكامل إرادتها وعن اقتناع ، لكن الحلم الأكبر هو كلية الفنون الجميلة ...

نظرت لها أمها حائرة من حالها :

ـ ألم يكن من الأولى أن تظلى فى عملك حتى تظهر النتيجة ؟

لم ترد عليها (يارا) هذه المرة أيضًا ، لم يكن لديها أكثر مما قالته من قبل ، وغضبت من معنى الكلام الذى يوحى بأن أمها لاتثق بنجاحها ، كما أنهما تناقشا فى هذا الموضوع طويلاً و(يارا) صممت على رأيها وتركت العمل بلارجعة ، وبرغم الملل والفراغ القاتل الذى تشعر به بعد تعودها على الدراسة والعمل ، إلا أنها لم تندم ..

لم يكن العمل فى محل تصفيف الشعر هو الذى ضايقها ، لكن إصرار العاملين فى المحل على أن تنتظر ، وتأخذ دورها وتتدرب قبل أن تمارس العمل الفعلى ، إصرار مديرة المحل على قيامها هى دون غيرها ، بكل العمل المهم ، ولاتترك لـ (يارا) إلا الأشياء التى تستطيع أى فتاة أخرى فى المحل عملها ...

كانت (يارا) تريد إثبات نفسها وتحقيق ذاتها ..

تركتها أمها وذهبت وهى تدعو لها بالهداية ...

(يارا) كانت مستمرة فى التفكير فى أنها لو عملت فى أحد مراكز التجميل المنتشرة ، ربما كانت حققت ماتحلم به ...

لو لم تنجح كما ألمحت أمها بإصرارها على ألا تترك العمل حتى ظهور النتيجة ، فلن تعود لعملها بمحل تصفيف الشعر ، بل ستبحث عن عمل فى أحد مراكز التجميل .

* * *



أخذت (يارا) تتأمل محتويات دولاب ملابسها فى عدم رضا ...

شعرت بأنها تحتاج لشراء ملابس جديدة ..

هذا إذا ذهبت إلى الكلية . ذكّرت بنفسها أن مدخراتها القليلة التى وضعتها جانبًا لمصروفات الكلية لايجب أن تضيع على شراء الملابس ..

لكن هذا لايمنع من أن تحلم بشراء ملابس جديدة ، كانت قد رأت بذلة أنيقة فى أحد محلات بيع الملابس ، لكن الرقم الذى حملته بطاقة السعر المثبتة فيها جعلها تتراجع عن مجرد الحلم باقتنائها ..

سيطر الملل على (يارا) خاصة وهى لم تعتد الجلوس فى البيت دون دراسة أو عمل ...

شعرت بأن عليها البحث عن عمل بأقرب وقت ممكن ، حتى لو نجحت ، فلا يعقل أن تعلق مستقبلها على أمل دخول الكلية ...

خرجت لتأتى بالجريدة ، ثم عادت تدخل حجرتها ، فردت الجريدة على السرير وبدأت تبحث فى الإعلانات المبوبة عن وظيفة ...

وبعد لحظات اندمجت وتحمست لقراءة إعلان يبدو مناسبًا لها ... برغم أن لديها خبرة جيدة ، لكنها لم تكن تملك شهادة خبرة ..

ولكنها فكرت فى أنها على أى حال لن تخسر شيئًا من التجربة .

دخلت أمها الحجرة دون أن تطرق الباب ، وانزعجت (يارا) من تصرف أمها هذا كالعادة دون أن تستطيع الاعتراض ..

- ماذا تفعلين ؟

جلست أمها على طرف السرير ونظرت فى الجريدة ..

- أبحث عن عمل .

- كان فى يدك عمل .

كانت نبرة اللوم واضحة فى صوت أمها ..

- لكنى لم أكن مرتاحة فيـه ، سأبحث عن فرصة أفضل .

- وكأن الفرص تقف على الباب .

استمرت أمها فى تقريعها ..

- سأذهب أنا إلى الفرص ولن أنتظرها كى تطرق بابى .

رن جرس الباب فقامت أمها لتفتح ، ظلت (يارا) جالسة فى مكانها وتابعت قراءة الإعلانات المبوبة دون أن تهتم لمعرفة من الطارق ، أو تقوم لاستقباله ...

سمعت أمها ترحب بشخص ما ، وسمعت بعد فترة صوت إغلاق الباب بعد انصراف الضيوف ، ثم عادت أمها تدخل الحجرة ..

- إنها (فريدة) جارتنا .

تطوعت أمها بإخبارها دون أن تسأل وأضافت مفسرة :

- تريد منك أن تذهبى لتزيين ابنتها ، خطبتها غدًا .. كما يمكنك تزيين فتاتين أو ثلاث من أخواتها وصديقاتها .

لم ترد (يارا) بأى شىء ، نظرت لها أمها فى أمل :

- حبيبتى لاترفضى .

- من قال إننى سأرفض ؟

لم يكن من العادى أن يبلغها أحد قبل يوم واحد ، لكنها لاتعمل الآن ، فلامانع ، نظرت لها أمها متسائلة وهى تشعر بأن ابنتها تخفى شيئًا :

- لاترفضى أخذ أجر .. هذا عمل . هل تسمعيننى ؟

- حاضر يا ماما .

كان ردها متخاذلاً ، فكرت (يارا) فى أنها فى حاجة للمال ، لكنها كانت تحرج قليلاً من طلب الأجر ، وكانت أمها تعرف ذلك ، فلم تكتف بردها المقتضب ..

- على الأقل تغطين ثمن أدوات الزينة التى تستعملينها لتجربتها على وجهك كلما خطر لك ذلك .

كتمت (يارا) غضبها فى نفسها ، أدوات التجميل التى تستخدمها كانت قد اشترتها من أجرها فى عملها فى محل تصفيف الشعر .

كما أنها أخبرت أمها أنها ستذهب ، وستأخذ أجرًا ، فما الداعى لهذا الكلام ؟

فكرت أنها بالتأكيد ستأخذ أجرًا بالطبع ، فلا يعقل أن يغفل أهل العروس أو العريس إعطاءها أجرها ..

- هل ستذهبين الآن لها .

- أجل .

ظلت أمها واقفة قليلاً ، وانتظرت (يارا) حتى غادرت أمها الحجرة لتبدأ من فورها فى إبدال ملابسها ، فلن تبدل ملابسها أمام أمها أبدا ، كانت تستحى من أن تبدل ملابسها أمام أى شخص .

ذهبت (يارا) من فورها لبيت العروس لتعدها قبل يوم الخطوبة ، وترى ما تحتاج إليه كى لاتفاجأ بشىء ..

جلست مع العروس وسط أخواتها وصديقاتها وجيرانها ، تبادلن التهانى والأمنيات الطيبة والمزاح دون أن تنتبه أو تتابع مايقولونه ، فقط ابتسمت للجميع مشاركة فى سعادتهم ، اتفق معها عدد كبير من الفتيات على تزيينهن يوم الخطوبة .

كانت العروس وصديقاتها فى مثل عمر (يارا) ، ومع ذك لم يخطر ببالها أن تكون فى مكان العروس أو تتمنى هذا ، على الأقل ليس فى وقت قريب ، لم يخطر ببالها أن هناك فتيات فى عمرها تتم خطبتهن وزواجهن ، ولايفكرن لا فى استكمال الدراسة ، ولا فى العمل ..

عندما رجعت (يارا) إلى منزلها عادت تخرج الجريدة ، ونقلت رقم الهاتف الخاص بمركزى تجميل قررت الاتصال بهما فى الصباح لتحديد موعد للمقابلة

الشخصية ... ونامت على أمل أنها ستجد فرصة عمل تشغلها عن انتظار نتيجة امتحان المعادلة ، وتقدم لها العزاء لو فشلت للمرة الثانية .

★ ★ ★

فى الصباح نزلت للاتصال من الكابينة العامة بمركزى التجميل ، وحددت موعدًا مع كل منهما للمقابلة ، وعادت إلى المنزل وهى تشعر بالسعادة والقلق فى نفس الوقت ، وجدت أمها قد جهزت طعام الإفطار ..

ـ تعالى لتأكلى .

جلست (يارا) وأخذت تتناول الطعام بسرعة ثم قامت ..

ـ عودى للمائدة لم تأكلى جيدًا .

ـ لقد شبعت .

ـ هل تتبعين نظامًا غذائيًا لتخفيض الوزن ؟

ـ لا أريد أن يزيد وزنى .

ـ يزيد وزنك ؟؟!!

استنكرت أمها ردها ثم أضافت متحسرة :

ـ إنك نحيفة جدًا .

ـ بل رشيقة .

ردت (يارا) فى تأكيد ، ثم قامت ودخلت حجرتها هربًا من النقاش المعتاد حول وزنها وحاجتها لإضافة بعض كيلوجرامات إليه ، لم تفهم سبب إصرار أمها على إطعامها حتى التخمة .

رتبت حجرتها ، ثم أخرجت حقيبة أدوات الزينة ، وتأكدت من وجود ما تحتاج إليه لزينة العروس وصديقاتها ، وبدلت ملابسها واستعدت للخروج ..

ـ هل ستذهبين الآن ؟

سألتها أمها فردت بالإيجاب ..

ـ إذن نتقابل هناك ، ولكن أستذهبين هكذا ؟

ـ مالى ؟؟؟

تأملتها أمها بنظرة منتقدة ..

كانت (يارا) ترتدى بذلة سهرة جميلة مكونة من قطعتين ، مناسبة لقوامها ، ذات لون وردى . تأملتها (يارا) لترى إن كان فيها عيب ..

ـ لا أقصد الملابس ، ألن تتزينى ؟

قالتها أمها معترضة على وجهها الخالى من المساحيق والزينة ..

ـ لا لن أتزين ، أنت تعرفين أنى لا أحب (الماكياج) .

ـ ولِمَ ؟ إنه يجعلك جميلة .

ـ وأنا لست جميلة هكذا !!

ردت (يارا) فى دفاع مضاد لما قالته أمها :

ـ بل جميلة ، لكن (الماكياج) يجعلك أجمل وأجمل ، يجعلك أميرة ..

ـ شكرًا . لا أريد أن أكون أميرة ، كما أن الحفلة حفلة العروس وستخرج هى من يدى أميرة ..

ـ يا بنتى هداك اللهً .

ـ أرجوك يا ماما سأتأخر .

ـ على الأقل ، لا تفسدى ملابسك وأنت تزينين العروس .. ألم يكن من الأفضل أن تأخذى البذلة معك ، وتذهبى بأى ملابس عادية ..

ـ لن أبدل ملابسى عند أحد ..

قالتها (يارا) بحدة ثم انتبهت لنفسها ..

ـ أنا معتادة على العمل .. لا تقلقى ، ويكفينى حمل حقيبة أدوات التجميل .

توجهت (يارا) إلى الباب ثم استدركت قبل أن تخرج :

ـ على فكرة .. سأذهب معها إلى المصور لأتأكد أن كل شىء على ما يرام .. سلام ..

ـ مع السلامة .

ذهبت (يارا) إلى بيت العروس، وظلت تعمل فى تجميلها هى والفتيات الأخريات، حتى أتعبتها قدماها من الوقوف، ثم أصطحبتها إلى المصور لتتأكد أن كل شىء على مايرام ..

عندما عادت مع العروس إلى مكان الحفلة لم يكن لديها أى طاقة لتستمتع بها. جلست منهكة القوى بجوار أمها .. بعد إجهاد يوم طويل ...

كانت بذلتها قد تجعدت قليلاً مما جعلها تندم على عدم استماعها لكلام أمها، فقد تضايقت من ملابسها لطول ارتدائها لها ..

نظرت إلى العروس والفتيات اللاتى زينتهن، كن جميلات مما أعطاها عزاء .. شعرت بأنها هى من أضفت لمسة الجمال تلك عليهن، وشعرت بأن تعبها جاء بفائدة.

لم تلحظ أحدًا برغم أن هناك من كان يراقبها، ويتأمل جمالها الهادئ ووجهها البرىء الخالى من المساحيق، وملابسها الملائمة للمناسبة دون بهرجة، كان يجلس إلى مائدة قريبة مع والدته التى انحنى يكلمها وهو يشير بطرف خفى إلى (يارا).

لم يستطع تحديد ما الذى شده إليها بالتحديد ...

لكنها خطفت عينيه بمجرد رؤيتها، واستحوزت على تفكيره ...

تسللت إليه فى دقائق معدودة وشعر بحاجة ...

لأن يسمع صوتها .. يتناقش معها ...

يحكى لها أشياء كثيرة ...

لأن يتعرف إليها. ويشاركها أشياء كثيرة ..

* * *



صحت (يارا) فى الصباح التالى متأخرة .. قامت منتفضة من سريرها تجرى إلى الصالة لتنظر فى الساعة المعقلة هناك ..

ـ لماذا لم توقظينى يا ماما ؟؟

انتفضت أمها من المفاجأة قائلة :

ـ لاحول ولاقوة إلا بالله . أفزعتنى يا بنتى .

ـ يا ماما لدى مقابلة عمل اليوم .

ـ مازال الوقت مبكرًا ، كما أنك كنت متعبة جدًا وقد أشفقت عليك .

ـ أشفقت علىّ؟ كم الساعة؟ المكان فى محطة الرمل ، أى أن أمامى ساعة على الأقل حتى أصل إلى هناك .

كان الضيق يملأ كلامها ، ولم تجد أمها حلاً إلا محاولة تطييب خاطرها .

ـ اغسلى وجهك وسأحضر لك الإفطار سريعًا ، ولن يستغرق ارتداؤك لملابسك دقائق ، تأكدى أنك ستلحقين الميعاد .. بالتأكيد ستجدين أكثر من فتاة متقدمة للعمل وقد تنتظرين ساعة أو اثنتين حتى يأتى عليك الدور ..

لم ترد (يارا) ، كانت فى قمة الغضب ، ولكنها كانت تعرف أنه لا فائدة من الجدال ، دخلت لتبدل ملابسها وتذهب ، لم تنس أن تعتنى بمظهرها ؛ فلامعنى لأن تذهب متأخرة وغير مهندمة وجاهزة .

رفضت محاولات أمها لإقناعها بتناول الطعام قبل خروجها ، نزلت السلالم درجتين درجتين وسارعت باستيقاف تاكسى وأخبرت السائق بالمكان ، إن أجرة التاكسى لن تفرق كثيرًا على أى حال ، موقع المكان الراقى أعجبها ، ولكن ما أعجبها أكثر كان تأثيث المكان الأكثر رقيًا . كانت الموسيقى الهادئة المناسبة من السماعات المنتشرة فى جوانب السقف بطريقة أنيقة متوافقة مع الديكور الداخلى ، ذى الألوان المتناغمة مع المفروشات والأثاث ..

كانت هناك فتاة ذات مظهر أنيق خلف مكتب الاستقبال ، حدثتها بصوت خافت وأعطتها استمارة لتملأها ...

لم تكن (يارا) متأخرة ، أمها كان معها حق ، يوجد ثلاث أو أربع فتيات فى انتظار المقابلة الشخصية .. أخذت الاستمارة وجلست على أحد الكراسى المريحة الموزعة فى صالة الاستقبال ، أسندتها على منضدة صغيرة بجوارها ، وبحثت فى حقيبة يدها على قلم وعيناها على الأخريات . واحدة فقط لفتت نظرها بملابسها الأنيقة ، الأخريات لم تر فيهن منافسًا محتملاً ، كن إما صغيرات جدًا أو كبيرات جدًا بالإضافة إلى مظهرهن ، قدرت (يارا) أن مكانًا كهذا بالإضافة للكفاءة يحتاج لقدر من الأناقة ، ولفتاة فى مثل سنها أو أكبر ببضع سنين .

نظرت إلى الاستمارة فوجدتها مليئة بعشرات الأسئلة عن مؤهلاتها وخبراتها ، وعن بياناتها الشخصية وكذلك

عن أحلامها وأفكارها وطموحاتها ونظرتها للمستقبل ، ومدى رغبتها فى الاستقلال وإنشاء عمل يخصها ، لم تكن قد رأت شيئًا كهذا من قبل ..

لم تملأ أساسًا استمارة سيرة ذاتية كهذه فى أى عمل تقدمت له ..

تذكرت كلام (وردة) زميلتها فى العمل السابق ، عن أن القليل من الكذب لايضر لكنه يجمل ، لم يكن هذا رأيها وبرغم أن بعض الأسئلة حيرتها لكنها قررت أن تقول الصدق ورزقها على الله .

ملأت الاستمارة بتمهل ، وراقبت الفتيات وهن يدخلن ويخرجن ، جاءت فتاتان بعدها وارتاحت لذلك ، فهى لاتحب أن تكون آخر من جاء ، أعادت الاستمارة للفتاة المسئولة عن الاستقبال فسألتها أن تنتظر دورها .

تساءلت (يارا) فى نفسها : هل يقرءون تلك الاستمارات فعلاً ؟ أدركت أنها لن تعرف ، الآن على الأقل .

بدأت (يارا) تتوتر ، كانت ماهرة فى عملها لكنها لم تكن متحدثة لبقة ، تمنت أن يكون هناك اختبار فى القدرات ، وعندئذ سيتحدث عملها عنها ، أما هى فلن تستطيع التحدث عن نفسها .

فكرت (يارا) فى أن تسأل إحدى الفتيات عند خروجها من المقابلة ، لكنهن كن يذهبن خارج المكان بمجرد خروجهن من الحجرة المخصصة للمقابلة الشخصية ..

كانت تحتاج إلى العمل ، لكنها لم تكن واثقة من أنها تستطيع التوفيق بينه وبين دراستها ، هذا إذا نجحت .. لم تعد متفائلة فيما يختص بالنتيجة ، لكنها لم ترد فقدان الأمل تمامًا .

كانت متوقعة أن دورها سيحين على الفور ، لكن هذا لم يحدث . أخذت كل فتاة وقتًا طويلاً جدًا فى إجراء المقابلة مما زاد فى توتر (يارا) ، شعرت (يارا) بالعرق يملأ راحتى يديها فأخرجت منديلاً قطنيًا يحمل

تطريزًا رقيقًا صنعته (يارا) بنفسها وفردته فى هدوء ، ثم جففت به يديها فى بطء وعادت تطويه وتضعه فى حقيبة يدها ...

عندما نادوا اسمها قامت وهى تشعر بعدم الثقة بنفسها ، مما ضاعف عصبيتها وارتباكها ، برغم أنها كانت تعلم قدرتها على العمل ، إلا أنها شكت فى قدرتها على توصيل ذلك لهم ، فضلاً عن توترها بوجه عام من الامتحانات ... أخذت نفسًا عميقًا وطرقت الباب ودخلت ...

* * *

كانت الحجرة مؤثثة تأثيثًا راقيًا ، وألوان الفراش والحوائط كانت تمثل خليطًا بين ألوان هادئة وألوان زاهية فى تضاد مثير دون أى تنافر . جلس لاختبارها رجل وسيدتان ، أشار لها الرجل لتجلس ... تراوحت أسئلتهم بين أسئلة عامة وشخصية دون التطرق إلى الحديث عن قدراتها فى العمل ..

لفت نظرها اللون البلاتينى المصبوغ به شعر إحدى السيدتين ، ولم يبد لها مبالغًا فيه برغم أنها لم تر هذا اللون من قبل على شخص ، فقط رأته فى الكتالوجات ، السيدة الأخرى بالغت فى صبغ شعرها باللون الأسود ، أما الرجل فقد ترك الشعيرات البيضاء تزحف على رأسه ، فأعطته مظهرًا وقورًا ووسامة محافظة وبدا لعينيها متوسط العمر .

جملة « سنتصل بك لإجراء اختبار عملى بعد أسبوع .. » لم ترضها ، شعرت بالضيق بعد انتهاء المقابلة ، فحاولت إقناع نفسها بأن حصولها على هذا العمل لا يهمها فى شىء ، لكنها لم تنجح فى ذلك . من كانت تخدع ؟ إنها فى حاجة ماسة لهذا العمل ، ليس ماديًا فقط ولكن نفسيًا أيضًا ..

حقيقى أنه ليس آخر عمل يمكنها التقدم إليه ، لكن المكان أعجبها ... كما أنها تعلم أن لديها الكفاءة اللازمة للعمل ، ولم يكن من العدل ألا تحصل على الوظيفة لمجرد أنها لاتحسن تقديم نفسها ...

أفاقت لنفسها ولم تدع الإحباط يستولى عليها ..

لم تقطع الأمل ، بل كالعادة تركت خيطًا من الأمل . فبإذن الله ستتحصل على عمل سواء فى هذا المكان أو فى المركز الآخر الذى ستذهب إليه غدًا لإجراء المقابلة الشخصية أو غيره ...

أرادت التجوال فى محلات محطة الرمل ، لكنها تراجعت ، فلن تستفيد شيئًا من أن تمنى نفسها بشىء يفوق إمكانياتها ، ومن الأفضل ألا تضع أمالاً على موضوع النقود .. مدخراتها لن تحتمل أدنى إسراف ، والملابس والأحذية والحقائب و .. وأدوات (الماكياج) كلها مبهرة . خاصة أدوات (الماكياج) فلم تكن تستطيع مقاومة هذا المرض الذى يسرى فى دمائها ويجعلها ترغب فى شراء أحدث مبتكرات التجميل وتجربتها ..

تساءلت : « ترى كم سيكون أجرها لو حصلت على هذا العمل ؟ » ضايقها التفكير فى النقود ، ضمت قبضتها بشدة وكادت ترفع صوتها وهى تتمتم فى غضب :

« سحقًا لهذا المال .. لايملك الإنسان مايكفى منه أبدًا .. »

* * *

عادت إلى المنزل غاضبة ، ودخلت إلى حجرتها على الفور .. بدلت ملابسها وغسلت وجهها ثم أخرجت أدوات (الماكياج) وبدأت فى وضع زينة متقنة لوجهها ، استخدمت فى جراءة ألوانًا لا تستخدم عادة لذوات اللون الخمرى مثلها .. حاولت إضفاء بعض الامتلاء لوجهها النحيل .. أعطاها مزيج الألوان الذى استخدمته نتيجة جديدة لم تحصل عليها من قبل ..

أخذها تركيزها فى تناسق الألوان وتوافقها مع بشرتها عن التفكير فى العمل أو أى شىء آخر .. كانت تضع الزينة وكأنها الشىء الوحيد فى الكون .

ذهبت لتُرى أمها (الماكياج) .. نظرت أمها إلى الألوان فى إعجاب بمهارة ابنتها فى تغيير شكلها وتطويع أدوات (الماكياج) ..

ـ جميل .

أرضت (يارا) نظرة الإعجاب فى عينى أمها أكثر مما أرضتها الكلمة ..

ـ تعالى واجلسى بجوارى .

جلست (يارا) على حافة السرير فى استعداد للخروج بمجرد أن تستطيع ، حقًا هى لاتعرف فيم تريد أمها الكلام معها ، لكنها لم تكن مطمئنة .

ظلت أمها تتحدث عن حفلة الخطبة والمدعوين والعريس وأهله ..

ـ هل رأيت قريبه ، هذا الذى لم يرفع عينيه عنك طوال الفرح ؟

كانت (يارا) نصف منتبهة فشكت فى أنها سمعت الكلام بصورة صحيحة ..

ـ لم أر أحدًا ؟

ـ كيف ؟ لقد كانت المنضدة التى يجلس إليها بجوارنا .

ثار فضول (يارا) فاعتدلت فى جلستها وسألت أمها :

- من هو ؟

- إنه ابن عم العريس ، عمره ٢٧ عامًا ويعمل محاميًا .

- ومن أين عرفت كل هذا ؟؟

- لقد جاءت والدته وجلست معنا قليلاً ألم تريها هى الأخرى ؟

نظرت لها أمها فى دهشة قبل أن تكمل قائلة فى عدم تصديق :

- لقد سلمت عليك وتبادلت الحديث معنا .

فكرت (يارا) فى كم الناس الذى حياها أو تبادل الحديث معها فى الحفل ، هل عليها أن تتذكرهم جميعًا ؟

- لم ألحظ أحدًا ، لقد كنت متعبة .

- إنهم ناس طيبون .

فقدت (يارا) اهتمامها بنفس السرعة التى اكتسبته بها ،

خاصة مع شعورها بالضيق من طيلة جلوسها بـ (الماكياج) وأرادت الذهاب لإزالته ، فأكدت على كلام أمها وقامت ..

نادتها أمها فى غضب ..

- (يارا) !!!

عادت تستدير وهى لا تعرف ماذا فعلت هذه المرة :

- ماذا ؟!!

- ألست أحدثك يا بنيتى ؟

لم تر (يارا) شيئًا مهمًا فى الحديث ، ألم يكن مجرد دردشة ؟ ما هو المهم فى الحديث عن الحفل أو طيبة والدة ابن عم العريس ؟ استغربت (يارا) غضب أمها. وسألتها فى براءة :

- هل هناك شىء آخر تريدين إخبارى به ؟

رمقتها أمها بنظرة غاضبة ولائمة ، وأشارت لها لتذهب وهى متعجبة من حال ابنتها ورافضة له ...

كان من الصعب عليها تربية (يارا) ولأخويها خاصة بعد وفاة زوجها .. لكن تربية أخويها شىء وتربية (يارا) كانت شيئًا آخر تمامًا ، فبينما أطاعها الولدان حتى كبرا وتزوجا وأصبح لكل واحد منهما أسرته ، فإن (يارا) كانت ومازالت عنيدة بشكل لايصدق .. كما أن التعامل معها صعب ، لم يكن هناك شىء يرضيها ، فهى فى حالة قلق دائم وبحث عن شىء ما أيا كان هذا الشىء .. قالت الأم فى نفسها : «لكنى قادرةٌ على التعامل مع هذا العناد .. » قررت الأم أن (يارا) لن تلجئها إلى أحد .. لن تذهب إلى خال أو عم أو أخ ليسيطر على جموح هذه الفتاة ، بل ستسوسها هى ، طمأنت أم (يارا) نفسها بهذا الخاطر فما أكثر ما مر بها ، ابتسمت لنفسها وهى تمنى نفسها بأن تزوج ابنتها من رجل طيب يرعاها ويحمل مسئوليتها عنها .

* * *

٤

ترددت (يارا) ، هل ترتدى ملابسها ثم تذهب لإخبار أمها بأنها ستذهب لإجراء المقابلة الشخصية فى مركز التجميل الذى اتصلت به منذ يومين ، أم عليها استئذانها أولاً ...

لم يكن عليها التفكير فى هذه التفاصيل البسيطة إلا فى حالة اختلافها مع أمها . فقد تثور ثائرتها لمجرد أنها ارتدت ملابسها قبل أن تستأذنها أم بعد ذلك .

تساءلت : لماذا عليها التفكير فى الزواج الآن ؟ كانت (يارا) قد تجادلت مع أمها ، بعد أن أخبرتها أن والدة هذا المحامى الذى تقابلت معها فى خطبة جارتهم ، طلبت الحضور إلى منزلهم للتعرف عليهم ، وغرضها واضح فى ذلك كما أشارت أمها .. كان لـ (يارا) ألف اعتراض على ذلك .. أرادت إكمال تعليمها والعمل فى نفس الوقت ...

كما أنها مازالت صغيرة ...

وبالطبع لم يكن هذا رأى أمها، وعارضتها طوال الوقت، واستخفت برغبتها فى إكمال تعليمها، وأشعرتها بأن الزواج يجب أن يكون قبل كل شىء، ولم يعجب هذا (يارا). أما تعليقها على كونها صغيرة فكان بذكر سيل من الحالات لفتيات فى مثل سنها وتزوجن، بل وربما أنجبن أيضًا طفلاً أو اثنين ..

ـ كما أنى لا أريد الزواج من محام.

كان هذا آخر اعتراض فى جعبة (يارا).

قالته لأمها على أمل أن توافقها، وكان مصيره كباقى الاعتراضات وسخرت أمها من مبررات رفضها جميعًا ..

ظلت تلح عليها بالموضوع وتحاول إقناعها حتى ملت ولم تعد تتحمل أى تعليق إضافى ..

ساءلت (يارا) فى استسلام ونفاد صبر:

ـ ما المطلوب منى؟

ـ قابليه.

كان رد أمها مختصرًا وواضحًا، مع ذلك نظرت (يارا) إلى أمها وتأملتها فى عدم فهم .. هل هذا هو المطلوب منها فقط؟ أن تقابله!! إذن فلماذا ترفض؟ «فلأقابله ..»

سيكون من الأسهل إقناعه بأنها لا تفكر فى الزواج، أو أنها لا تناسبه، وعندها سيبدو الرفض وكأنه من ناحيته هو وتنتهى مشكلتها مع أمها.

ضغطت (يارا) على نفسها واستأذنت أمها فى هدوء، قبل أن ترتدى ملابسها على أمل أن تتركها تذهب لإجراء المقابلة دون أى اعتراض على فكرة عملها الآن، ثم هى قد وافقت على مقابلة هذا المحامى ألم تفعل؟؟

فى طريقها إلى مركز التجميل الكائن فى منطقة رشدى الراقية، ولم يكن يقل أناقة عن مثيله فى محطة الرمل مع اختلاف الألوان والديكورات.

لم يكن هناك أى شىء سوى محادثة شفوية مع لختبار عملى سريع ، وأخبروها أن هناك فترة ستة أشهر اختبار بمرتب بسيط ، لحين التأكد من جدارتها ... كان من الواضح أنهم موافقون عليها ، ومع ذلك أخبروها أن الرد سيكون خلال أسبوع ..

كانت مشكلة الهاتف هذه مشكلة أخرى ، كان عدم وجوده يقيدها ... وضايقها اضطرارها لإعطاء رقم هاتف خالتها برغم أنها تسكن بعيدًا عنهم ...

★ ★ ★

كان لقاؤها مع (عابر) لقاء تقليديًا لكن تم تدبيره ليبدو صدفة .. أخبرتها أمها باسم إحدى الكافيتريات المنتشرة ولم تهتم (يارا) كثيرًا لما ترتديه .. كانت ذاهبة مجبرة ، وتمنت أن ترتدى أسوأ شىء لديها لولا أنها خافت من رد فعل أمها ...

دار الحديث بينه هو وأمه وأمها دون أن تجد طريقة للدخول فى الكلام ، أو كما اعتقدت هى أنهم لم يتركوا لها

فسحة للكلام ، أخيرًا انشغلت أمها وأمه فى الكلام وأصبح بإمكانها التحدث معه ..

لم تعرف كيف تبدأ الكلام ، لا يعقل أن يكون أول حديث لها معه هو رفضها له ، أو إخباره أنها لا تفكر فى الزواج الآن .. تملكها الحياء ولم تتكلم ..

نظر لها ، كان سعيدًا لأنه رآها مرة أخرى . أراد أن يشبع عينيه منها ، وأراد أن يحدثها ويحدثها عن كل شىء عن حياته عن الماضى و .. عن المستقبل .

أراد أيضًا أن يسألها وأن يسمع لها ويعرف عنها كل شىء .. أطال النظر إليها دون أن يتكلم مما زاد حياءها فخفضت عينيها ..

ـ سمعت أنك تدرسين لمعادلة الثانوية العامة .

ـ أجل .

ـ لماذا ؟

نظرت له مندهشة من سؤاله ، وتساءلت فى تعجب بكل ذرة فى جسدها :

ـ لماذا !!!

رد فى هدوء مكررًا سؤاله :

- أجل ، لماذا تريدين الدراسة ثانيًا ؟

ظنت (يارا) أنه سؤال دون معنى فأجابته أوضح من أن تقال ، ومع ذلك قالتها لأن كلامه أستفزها ..

- لأسباب كثيرة .. أريد تنمية موهبتى فى الرسم والنحت .. كما أننى أحب الدراسة .. وأود أن أجد فرصة للعمل - بعد التخرج - فى تخصصى وتطبيق ما سأدرسه .

- العمل أحد أولوياتك إذن !

- أجل ... العمل فى حد ذاته قيمة .

نظرت له لترى تأثير كلامها عليه قبل أن تكمل فى تحد :

- ألا تعتقد هذا ؟

- بالطبع .

وافقها مبدئيًا ثم أكمل بجدية :

- لكن هناك أشياء أخرى كثيرة ذات قيمة غيره .

نظر لها ، وقبل أن تفكر فى سؤاله عن هذه الأشياء أكمل ببساطة :

- تربية الأطفال مثلاً .. ألاترين أنها شىء مهم .

لم يعجبها أنه خرج من موضوع العمل والدراسة ، كان رأيها أن تربية الأطفال شىء مهم جدًا ، بل كانت ترى أنه ربما أهم شىء فى الدنيا ، لكنها لم تكن على استعداد لقول ذلك ببساطة ولكن أرادت أن تضايقه ..

- بالتأكيد مهم ، ولكن عندما يحين وقته .

عندما رأت نظرة الرضى عن إجابتها فى عينيه ، أحست أنها أخطأت فيما قالته ، كانت تريد إفهامه أنها صغيرة على الزواج ، وبدا لها الآن أن ما قالته لم يسعفها فى توصيل ما تريد .. أخذت تحرك كوب العصير بين كفيها فى ارتباك ..

- هل تعلمين الآن ؟

- لا .

تداركت وأكملت قبل أن تكتفى بالنفى ، لتفهمه أنها تعمل على إيجاد عمل ..

- ولكنى أبحث عن عمل .

- وعندما تتجحين فى المعادلة هل ستستمرين فى العمل ؟

- أجل .

حرصت على أن تكون إجابتها مقتضبة وواضحة .

- ولكن ألن يعطلك العمل عن الدراسة ؟

كان هذا السؤال قد تردد فى فكر (يارا) كثيرًا لهذا كانت إجابتها المتحمسة ردًا على شكوكها هى أكثر منها ردًا على سؤاله ..

- سأجتهد فى تنظيم وقتى .. سأواصل الليل بالنهار لو تطلب الأمر .

- ألن يكون هذا مجهدًا لك ؟

- وإن كان ! لا شىء كثير أمام سعى المرء لتحقيق أحلامه وطموحاته .

بينما هو يفكر فى طريقة يوصل لها بها إعجابه بإصرارها ، حتى لو اعتقد فى صعوبة تحقيق ما تحلم به بهذه الطريقة ، كانت (يارا) تتساءل فى نفسها فى ضيق : « لماذا الحديث كله عنى ؟ » أرادت أن تسأله عن نفسه .. تراجعت فى تفكيرها هذا « ولماذا أسأله ؟ أنا لا أريد أن أعرف عنه أى شىء .. » ، هذا ما قالته ، لكن من تخدع ؟ كان فضولها قد تحرك وكانت تريد معرفة كل شىء عنه .

قالت لنفسها مبررة « ربما من باب الفضول فقط ؟ أو ربما من باب أعرف عدوك ؟ »

سألته والدتها عن شىء فالتفت ليشارك فى الحديث الدائر ، فتأملته (يارا) للحظة ، كان وجهه مستديرًا إلا أن ذقنه كان يحد من استدارته .. كانت ملامح وجهه

متناسقة ، كثافة رموشه أظهرت بوضوح شكل عينيه وكأنهما كحيلتان مع سمرته الشديدة وسواد شعره القصير ، بمنابته المحددة عند جبهته حيث رسم شكل ٧ عند منتصف جبهته ، أثار مظهره اهتمامها الفنى ، تمنت أن ترسمه لتظهر الانطباع الذى يعطيه شكله من قوة شخصيته والجاذبية .. برغم أنه لم يكن يشبه بأى حال أيًا من خيالاتها عن الشخص الذى سترتبط به .. فكرت ، ومن قال إنها ستفعل ؟ فكرت « ربما ، ربما لو كنت قابلته بعد انتهاء دراستى كنت وافقت عليه لكن الآن ، لا .. »

استغرقت فى التفكير حتى إنها لم تسمع كيف انتهى الحديث ، وكل ما فعلته هو أنها مدت يدها تسلم عليه ، وتركت والدته تعتصرها فى أحضانها وتقبلها ..

عادت إلى البيت مهمومة بهذا الموضوع .. تصنعت التعب وأسرعت تلوذ بحجرتها ، هربًا من أى كلام مع أمها فى هذا الموضوع ..

دخلت وأبدلت ملابسها بسرعة .. سحبت الدب الأبيض الكبير الموجود فوق أحد الرفوف والمصنوع من الفراء ومحشو بالقطن أو ما شابه مما جعله ناعم الملمس ، ويرتدى طرطورًا أحمر ذا حافة بيضاء يتدلى من أحد جانبى رأسه ويخفى إحدى أذنيه .. أخذته إلى سريرها واحتضنته .. لم تعرف فيم تفكر .. استغربت من تراكم كل شىء مرة واحدة : موضوع زواجها من (عابر) ، ونتيجة الامتحان ، والعمل الذى تنتظر منه ردًا ، كل هذا مرة واحدة ...

قامت وفتحت النافذة وأسندت رأسها إلى إطارها .. أطلت على الظلام المنتشر بالخارج واستنشقت نسمات الليل .. أخذت نفسًا عميقًا ثم طردته فى هدوء ...

تساءلت متى ستكبر وتصبح فى الخامسة والعشرين مثلاً ، وتضع كل هذا وراءها وتكون قد حددت مستقبلها ، لم يخطر ببالها أن هناك الكثيرين فى مثل هذه العمر لم يحددوا أى شىء فى مستقبلهم ..

أغلقت (يارا) النافذة وعادت تجلس على السرير نصف مستلقية تفكر ، ثم اعتدلت واستلقت على السرير فى نهاية الأمر والدب فى أحضانها واستغرقت فى النوم .

* * *





بعد يومين فوجئت (يارا) بزيارة ابنة خالتها لها .. كانت قد فقدت الأمل فى الوظائف التى تقدمت إليها وبدأت فى الاتصال بأماكن أخرى وتحديد مواعيد للمقابلات الشخصية .. مما زاد من إحساسها بالسعادة عندما عرفت أن مركز التجميل الموجود فى محطة الرمل قد اتصل وحدد لها موعدًا حتى إنها لم تحسن الترحيب بـ (جيهان) ابنة خالتها ، وأسرعت تستعد للذهب هناك ..

سألتها (جيهان) وهى تهم بالخروج فتبينت (يارا) مدى قلة لياقتها :

ـ هل آتى معك وأنتظرك بالخارج ؟

ـ بالطبع . كنت سأطلب منك ذلك حالاً .

دارت (يارا) تلك الكذبة البيضاء بابتسامة واسعة .

خرجتا إلى الشارع الرئيسى وأسرعت (يارا) بالإشارة

إلى سيارة أجرة ، كانت متعجلة ولا مانع لديها من إنفاق أى مبلغ لترى نفسها تعمل فى مثل هذا المكان .

تكلمت مع (جيهان) وهى نصف منتبهة ، وصحبتها إلى المكان وخطوتها السريعة تضطر ابنة خالتها للركض تقريبًا لمجاراتها .. عرفت (يارا) نفسها للفتاة الجالسة خلف مكتب الاستقبال ، فاستمهلتها دقيقة . رنت جرسًا وسرعان ما ظهرت فتاة أخرى اصطحبتها إلى حجرة لم تدخلها (يارا) من قبل ، لم تتذكر (يارا) أنها رأت الفتاتين من قبل ، واستنتجت أنهما من العاملات الجدد بالمكان ، كانت الحجرة عبارة عن قاعة واسعة معدة لتكون صالون تجميل وتصفيف للشعر ، ومجهزة بكل المعدات والمقاعد والمرايا والأدوات المطلوبة . كل شىء كان منظمًا فى مكانه ، ولم تنتبه فى تأملها للمكان للسيدة الواقفة بأحد الأركان حتى تقدمت تكلمها :

ـ آنسة (يارا) .

بادرتها بالكلام فتقدمت (يارا) وصافحتها :

ـ مس (توتا) .

عرفت السيدة نفسها لـ (يارا) . تذكرتها (يارا) على الفور بمجرد أن وقعت عيناها على شعرها ذى اللون البلاتينى . كانت تضمه بإهمال على قمة رأسها ، وقد سقطت منه بعض الخصلات وتناثرت حول وجهها دون نظام ، ومع ذلك أعطاها شكلاً جميلاً وأنيقًا . شىء واحد انتقدته (يارا) فى مظهر مس (توتا) ولم يكن بالطبع قوامها الممشوق ولا بذلتها ذات اللون الأسود التى تلاءمت مع لون بشرتها الشاحب ، ولون شعرها الملفت . نظرت (يارا) إلى زينة وجهها على الخصوص وشعرت بأن هذه السيدة لو تركت لها وجهها لتزينه لأضفت عليه الكثير من الحيوية .

لم تسلم (يارا) هى الأخرى من تأمل مس (توتا) لها بداية من البنطلون والبلوزة اللذين ترتديهما مرورًا بحذائها الرياضى ، وحتى وجهها الخالى من المساحيق ،

ولكن النظرة طالت لتتحول لتفحص دقيق ومنتقدة لتسريحة شعرها .. تكلمت هى ومس (توتا) عن خبرتها وعملها السابق ودراستها باقتضاب .. لم تبد ودودًا لـ (يارا) ..

استدعت مس (توتا) إحدى الفتيات . أشارت إلى الفتاة ووجهت حديثها لـ (يارا) :

ـ لنر ما يمكنك عمله .

نظرت (يارا) لوجه الفتاة المثقل بمساحيق التجميل وبدأت العمل دون تردد ، أخذت تزيل المساحيق فى حرفية وتغود ..

ثم تأملت ما هو متوافر من أدوات التجميل فى تقدير لأنواعها الجيدة ولتنوعها الكبير ، الذى أعطاها حرية الاختيار ، وشرعت فى وضع (الماكياج) الذى يظهر محاسن وجه الفتاة ويؤكدها بنفس القدر الذى يحاول به إخفاء العيوب ، وجذب النظر بعيدًا عنها ..

ـ متى تستطيعين البدء فى العمل .

شعرت (يارا) بالسعادة وحمدت الله كثيرًا ، لكنها لم تستطع إظهار فرحتها لأن مس (توتا) كانت جادة جدًا وهى تكلمها ..

ـ من اليوم لو أحببت .

ـ لتبدئى غدًا فى التاسعة صباحًا .

عرفتها مس (توتا) على مواعيد العمل ونظامه بسرعة ، قبل أن تغادر وهى فى قمة سعادتها .

★ ★ ★

استلقت (يارا) فى المساء أرقةً من شدة الإثارة . كانت قد جولت مع (جيهان) وقامتا بشراء فيشار وآيس كريم من محطة الرمل ، وسارتا على كورنيش البحر لفترة ورأسها يدور من السعادة ، ثم عادتا إلى منزل (يارا) لتخبر أمها بالخبر السعيد . سألتها أمها عن المرتب بعد أن هنأتها ، واندهشت من أن (يارا) لم تسأل عنه ..

ـ سأعرف غدًا بإذن الله .

لم تجد (يارا) ماتقوله سوى هذا .

ظلت تتحدث مع (جيهان) وتثرثر معها فى سعادة ، حتى إنها قامت بعمل زينة كاملة لوجهها قبل أن تغادر ، ثم دخلت إلى حجرتها واستلقت على السرير بعد أن أطفأت النور محاولة النوم ، ثم اعتدلت جالسة على سريرها أرقة .. شعرت بأنها لن تستطيع النوم من شدة الفرح ولم يساعدها الظلام فى شىء ، قامت وأضاءت النور وبدأت تتأمل دولاب ملابسها .. قررت أنه لا يعقل أن ترتدى نفس ما ارتدته اليوم .. فكرت أن الغد أول يوم عمل ويجب أن تبدو مختلفة ، هذا بالرغم من أنها عرفت من مس (توتا) بوجود معطف عليها ارتداؤه كزى موحد طوال وقت العمل .. تأملت ملابسها لفترة طويلة قبل أن تستقر على رداء بعينه وجدته يحتاج للكى ، فأخذت المكواة وبدأت فى الكى .. لمحت عيناها الساعة لتكتشف أنها تعدت الثانية بعد منتصف الليل ،

فاندهشت من مرور الوقت بهذه السرعة . أنهت الكى على عجل وضبطت المنبه ثم دخلت لتنام .. أجبرت نفسها على الهدوء والاستسلام إلى النوم لتذهب إلى العمل فى حالة طيبة .

* * *

فى طريقها إلى العمل شعرت بحماسة شديدة وإثارة وسعادة وقلق ، جاشت مشاعرها فى صدرها وملأتها بهجة وترقبًا وشغلتها عن أى شىء آخر .. فلم تفكر فى النتيجة التى ستظهر خلال أيام قليلة .. ولم تفكر فى (عابر) .. فكرت فقط فى أنها ستحصل على هذا العمل وستحافظ عليه بإذن الله .

دخلت إلى المركز لتجد مس (توتا) واقفة بجوار مكتب الاستقبال ، حيتها ووقفت تنتظرها . أحست (يارا) بشخص يحدق فيها ، استدارت لتجده نفس الرجل الذى قام باختبارها . تذكرته على الفور من شعره المتداخل سواده فى بياضه ، عرفت فيما بعد أنه

أحد الشركاء ، وأن اسمه (عمر نصير) ، ألقت عليه (يارا) نظرة عامة ، قدرت سنه بـ ٤٥ سنة على الأكثر ، لاحظت أنه شديد الاستعراض بأناقته . بدت بذلته وحدها وكأنها قد تكلفت ثروة ، زراير القميص الذهبية ودبوس ربطة العنق المتلائم معها بدت كأنها تكلفت ثروة صغيرة هى الأخرى ، دون احتساب القميص الحريرى والحذاء ذى الماركة المشهورة . كانت هذه هى أول وآخر مرة تراه فيها (يارا) مرتديًا بذلة فى الصباح ، عادت (يارا) تستدير وهى تشعر بالقليل من الحرج من نظراته لها .

ذهبت مع مس (توتا) إلى القاعة التى ستعمل بها وعرفتها على فتاة ستعمل كمصففة شعر ، وفتاة أخرى ستعمل كمساعدة ، وكذلك عرفتها بالفتاة الجالسة خلف مكتب الاستقبال . وكن جميعهن أكبر منها دون استثناء .. شعرت (يارا) بأنها قادرة على إثبات جدارتها ببعض الجهد ...

تحدد ميعاد الافتتاح الرسمى بعد يومين ، وكان هناك حملات دعائية موجهة لبعض السيدات من مستوى اجتماعى معين ، وفئات عمرية محددة . وعرفت (يارا) أن هناك قسمًا للتدريبات الرياضية وآخر للتجميل ، وذلك بعيدًا عن (الماكياج) والذى سيكون تقريبًا مهمتها وحدها ..

لم يضايقها سوى مواعيد العمل ، التى سيكون عليها الالتزام بها بمجرد الافتتاح . كانت من الحادية عشرة صباحًا إلى العاشرة والنصف مساءً مما سيجعلها تعود إلى المنزل متأخرة جدًا ، كما أنها لن تستطيع الرجوع إلى منزلها فى ساعة الراحة فى منتصف اليوم ؛ لأنها ستضيع فى الذهاب والعودة ...

وإذا تخطت امتحان المعادلة سيجعل هذا من التحاقها بالكلية مستحيلاً ..

فالكلية عملية وتحتاج لحضور المحاضرات ..

طردت (يارا) القلق من عقلها .. هـذا ليس وقتـه على الإطلاق ، لتجرب العمل الآن ثم تفكر فيما بعـد ، خاصة وأن المرتب أكثر من مغر وأعلى من أى مرتب كانت تأخذه من قبل .

* * *





تعرفت (يـارا) فى عملها الجديد على عدد من الأشخاص ، مس (توتـا) كـانت بالتـأكيد شـخصية تستحق الوقوف أمامها طويـلاً . لم تكن كثيرة الكلام وإن تكلمت فغالبًا كـان كلامها توجيهات .. أعجبت (يـارا) بشخصيتها القويـة ، وبأنها سيدة عمليـة ، كذلك أعجبت (يارا) بعملهـا سواء فى قص الشعر أو تصـفيفه . كانـت فنـاتة وبحق ، ومتمكنـة مـن عملهـا وهى على علم بذلك مما انعكس فى ثقتها بنفسـها .

الشريكة الأخرى ، مدام (نانـا) كـانت هى السيدة التى قابلتهـا (يـارا) يوم المقابلة الشخصية ، وكانت وقتها تصبغ شعرها بلون أسود فاقع لو كـان من الممكن وصف الأسود بهذا الوصف . فلايكفى مجرد

القول بأنه أسود حالك أو زاهٍ لوصف هذه الدرجة من الأسود التى كانت تستعملها . الآن هى تصبغه أحمر ، لم تفكر (يارا) فى إضافة أى وصف آخر للأحمر ، كان اختيار هذه السيدة للألوان الصارخة .. أما وجهها فكان شيئًا آخر ، كرنفالاً من الماكياج ، لاتستطيع (يارا) القول إنه ماكياج قبيح أو غير متقن ، إنما بالأصح غير مناسب لها سواء من ناحية سنها أو لون بشرتها أو ملامحها ، كما ضايقها أنها كانت تضع ماكياجًا كاملاً طوال الوقت ، وكأنه قناع ، حتى فى بداية اليوم كانت تضع طبقات من كريم الأساس والبودرة ، وهذا أقل ما يقال ، كان كل ما فيها يصرخ بالتصنع والمبالغة ، كما أنها كانت تتدلل فى كل تصرفاتها وكلامها ، وتأتى من وقت لآخر للإدلاء بآراء لاداعى لها أو أوامر لامعنى لها . تعودت (يارا) الإيماء لها بالموافقة وعدم التفكير مرة أخرى فيما قالته ، كانت أشياء لايمكن تنفيذها .

أما الأستاذ (عمر) أو (عمر بك) كما كما الجميع ـ ما عداها ـ يدعونه ، فكان اللغز الحقيقى بالنسبة

لـ (يارا) ، نظرات عينيه لاتتركها أينما رآها .. كان ينتهز أى فرصة للقدوم لرؤيتها أو الحديث معها . اقترابه منها وهو يتحدث ، صوته الهادئ الخفيض ، ذو النبرة العميقة ، شعرت (يارا) بأنها مصطنعة .. ليست النبرة فقط ، ولكن طريقة كلامه ككل كانت تشعرك بأنه يلقى كل كلمة بحرص وكأنه أعدها سلفًا بلا تلقائية ..

كما أنها لم تفهم ما يرمى إليه بكلامه .. كانت تشعر بالتوتر والقلق كلما كلمها وبعدم الراحة .. عيناه التى تتأملها ضايقتها ، شعرت بأن تحديقه فيها وقاحة ، لكنه كان دائمًا مهذبًا على الأقل فى الظاهر .. لم يكن هناك مأخذ معين لها عليه ..

ما ضايقها منه كان شيئًا لاتستطيع وضع يدها عليه أو إمساكه ، أناقته المبالغ فيها سواء مجموعة البدل التى يلبسها فى المساء أو مجموعة السويترات والقمصان الحريرية والبنطلونات التى يرتديها بعد الظهر أو الجاكيتات الأسبور ..

سيارته كان تحفة غالية ، كانت على العكس مما توقعت سيارة صغيرة الحجم وليست ضخمة بأى حال ، وذات مقعدين فقط ومكشوفة ولونها أحمر زاهٍ ..

كانت أول مرة رأتها فيها عندما حاول توصيلها .. كانت (يارا) قد خرجت هذا اليوم فى موعدها كالعادة وفوجئت به ينتظرها أمام باب مركز التجميل .. رفضت (يارا) عرضه فى أدب جم دون أن تعطيه فرصة ليلح عليها، وابتعدت بخطوات واسعة، حاولت اقناع نفسها بأنها لم تهرب منه ولم تخف، لكنها فى الحقيقة شعرت بالرعب ..

لماذا يريد توصيلها ؟

ولماذا ينتظرها بهذا الشكل ؟

إن عمره يتجاوز عمرها بكثير، بل إنه فى سن والدتها تقريبًا .

ترى ماذا يريد منها ؟

سؤال خافت من التفكير فيه دون ذكر خوفها من إجابته .

* * *

- (يارا) !

قالتها أمها كاستهجان أكثر منه نداء لـ (يارا)، لتوجهها من باب الشقة إلى باب حجرتها مباشرة وهى تشعر بالتعب الشديد من العمل .. طوال اليوم وهى واقفة على قدميها .. كانت قد حققت نجاحًا فى الأسبوعين الأولين، ولكنها كانت تعمل لأوقات طويلة دون راحة .. توقفت (يارا) عند باب حجرتها واستدارت تنظر لأمها متسائلة فى تثاقل .

ردت أمها على نظراتها فى لوم :

- ألا يوجد حتى مساء الخير ؟!

فكرت (يارا) أهذا كل ما فى الأمر ؟ وقالت فى آلية :

- مساء الخير ..

قالتها (يارا) فى تهالك وعادت تكمل الدخول إلى الحجرة .

- (يارا) ؟؟!!!

قالتها أمها فى حدة جمدتها فى مكانها وأفزعتها :

- لم تتناولى طعامًا كافيًا .. ووالدة (عابر) زارتنا .. أريد الحديث معك فى هذا الموضوع ، يجب أن تقابليه ..

لم تشعر (يارا) بأن هناك ما يهمها فى كل ذلك ، كانت أمها قد اقتربت منها فدخلت إلى الحجرة وتبعتها أمها وهى تكمل الكلام :

- كما أن ابنة خالتك جاءت ولم تجدك ، أمينة اتصلت .. وتريد منك الاتصال بها ... متى كانت آخر مرة تناولت فيها الطعام ؟ لقد نزلت إلى نصف وزنك .. فليذهب مثل هذا العمل إلى الجحيم .. هل ستقتلين نفسك فيه ؟!

كانت (يارا) قد جلست على السرير وخلعت حذاءها والجاكيت الذى ترتديه .

رن الكلام فى عقلها ، (أمينة) تريدها أن تتصل بها ؟؟ هل ظهرت النتيجة ؟؟ مر أسبوعان دون أن تتصل بـ (أمينة) ، وبالطبع لم تذهب للسؤال عن النتيجة . إنها لم تفعل وهى جالسة فى المنزل

لاشىء وراءها فهل ستفعل وهى مشغولة بالعمل ؟ لم تكن أعصابها تتحمل الذهاب لرؤية النتيجة ، نظرت (يارا) إلى أمها وسألتها فى اهتمام :

- ألم تقل لك (أمينة) شيئًا ؟

- أهذا ماسمعته من كل كلامى ؟

نظرت لها أمها فى عدم تصديق وأكملت قائلة :

- أنا غير موافقة على ماتفعلينه .. ولن تستمرى هكذا . هل سمعت .

- ماما أرجوك .

كانت (يارا) متعبة جدًا ، أكثر من متعبة ، ولم تتحمل الجدال مع أمها ، لكن أمها لم ترقَ لنبرة (يارا) الراجية ، كانت أمها غاضبة منها لأنها لاتعرف مصلحتها .

- لاترجونى .. هذا العمل لاينفع ، كل يوم تصلين هنا فى الحادية عشرة والنصف .. قبل ذلك كان

المحل بجوار البيت فلا أقلق عليك .. لكنك الآن تعملين فى محطة الرمل ، ونحن هنا فى سيدى بشر قبلى ..

تأملت أمها الهالات السوداء التى بدأت تظهر تحت عينيها وأكملت مشفقة عليها :

- ثم ألا تنظرين لنفسك ؟ هذا العمل يجهدك أكثر من اللازم ، واسمعى ما أقول : (عابر) سيمر عليك فى العمل غدًا .

فتحت (يارا) فمها لتعترض لكن نظرة محذرة من أمها أسكتتها وأكملت الكلام :

- خذى إذنًا الساعة الثامنة ، وتعالى معه إلى المنزل لنتحدث هنا .. هل كلامى واضح ومفهوم ؟

كانت (يارا) متعبة جدًا لتجادل أمها ، وبدا لها أن أمها مصممة بدرجة لاتسمح بالنقاش معها ، فلم تملك سوى الموافقة .. تركتها أمها لتبدل ملابسها

بعد أن وافقت (يارا) - على الرغم منها - على تناول الطعام قبل الذهاب إلى النوم ..

بعد أن أجبرتها أمها على تناول أضعاف ما تستطيع أكله ، دخلت (يارا) الحجرة وقد نسيت رغبتها فى النوم . وبغض النظر عن أنها لم تكن تحب النوم بعد الأكل مباشرة فإن شيئًا آخر منع النوم عنها ..

وقفت تطل من النافذة وقد انشغلت فى التفكير ، هل نجحت ؟ وإذا حدث هل تستمر فى هذا العمل مع الكلية التى بدأت الدراسة فيها بالفعل منذ أسبوع أى أنها ستكون متأخرة عن زملائها فى كل الأحوال ..

وإذا لم تنجح ؟ هل ستكون هذه هى نهاية محاولتها للالتحاق بكلية الفنون الجميلة ؟ ربما من الأفضل لها أن تدرس دراسة حرة .. و (عابر) .. فكرت (عابر) ؟ أى اسم هذا (عابر) من أين ؟

وإلى أين .. أم أنه (عابر) سبيل ؟ ضحكت فى نفسها ساخرة .. (غريب هذا الاسم) فكرت .. وظل اسمه يتردد فى عقلها حتى استولى عليها التعب ونامت ودُبَها الأثير فى أحضانها .

* * *





بمجرد أن استيقظت (يارا) ارتدت ملابسها وخرجت لتتصل بـ (أمينة) ـ لم تهتم لإيقاظها من النوم أو لأن الوقت مبكر وغير مناسب للاتصال ـ التى أبلغتها بالخبر الذى انتظرته طويلاً .. كان ما شعرت به شىء أكثر من السعادة ، لم تصدق أنها نجحت هى و (أمينة) .. شعرت بارتياح جميل يملؤها ..

أخبرتها (أمينة) أنها ستدخل كلية التربية .. ظلت (يارا) تتحدث مع (أمينة) طويلاً ، لم تكن تريد أن تنهى الاتصال ، أرادت أن تراها فورًا وبالفعل تقابلا ، تعانقا بمجرد تلاقيهم ..

ـ (يارا) !!

اعترضت (أمينة) ضاحكة على عناق (يارا) لها القوى فى الشارع وصراخها بالتهنئة خاصة وقد كادت تخلع طرحتها :

ـ مبارك .

ابتسمت (أمينة) وقالت :

ـ مبارك علينا .

كانتا جالستين بالقرب من منطقة الميناء الشرقى . كانت (يارا) على مسافة قريبة من عملها ومازال أمامها ساعة كاملة .

ـ لماذا لاتدخلى كلية التربية معى ؟

فكرت (يارا) لا ، لن أتنازل عن كلية الفنون الجميلة ، سنوات الدبلوم التى اجتهدت فيها حتى التفوق والمعادلة التى دخلتها بدل المرة اثنتين كل هذا ألا يكون نتيجته تحقيق ماتحلم به !

لم يفسد رفض (يارا) دخول كلية التربية صفو اليوم ، كانت (أمينة) تعلم أنه حلم (يارا) .. ذهبا لشراء سندوتشات فول وفلافل وجلستا تأكلان على سور البحر .. مر عليهما بائع المياه الغازية فاشترتا زجاجتين .. كانت هذه الجلسة ممتعة وكأنهما تتناولان أغلى المأكولات والمشروبات . تحدثتا طوال

الوقت ثم أوصلتها إلى محطة الترام وعادت هى تتمشى إلى شارع (صفية زغلول) حيث مركز التجميل .

كانت سعيدة جدًا طيلة اليوم ، حتى إنها لم تشعر بالضيق عندما جاء (عابر) لاصطحابها من العمل . ركبت معه فى سيارة الأجرة التى كانت بانتظاره دون أن يتكلما .. صعدا إلى المنزل وحتى مبالغة أمها فى الترحيب به لم تضايقها .

سألها (عابر) :

ـ ما أخبار النتيجة ؟

كانت أمها تعرف بالفعل منذ الصباح الباكر ، ابتسمت له (يارا) ابتسامة عريضة وهى تخبره بنجاحها .

نظر لها (عابر) متأملاً ابتسامتها العريضة دون أن يغفل ملاحظة آثار الإجهاد الظاهر عليها .

ـ هل تستطيعين الجمع بين العمل والدراسة ؟

كان يسألها ببساطة وشعرت (يارا) بأن الأمانة تقتضى منها قول الحقيقة .

- لا . على الأقل ليس هذا العمل بالذات وليس بهذه المواعيد .

تعجبت (يارا) من أنها لم تعاند معه أو تشعر بالرغبة فى تحديه ، لم تتح لهما فرصة كبيرة للحديث ، إذ سرعان ما وضعت أمها طعام العشاء وظلت تلحف عليهما بالأكل حتى شعرت (يارا) بالشفقة على (عابر) من إصرار أمها .

جلسا بعد العشاء قليلاً وكان الصمت أكثر من الكلام يسود الجلسة ..

لم يكلمها عن عمله من قبل ..

أرادت أن تسأله لكنها أحجمت حياءً .. سألها عن خططها للدراسة وتكلمت معه ببساطة كأنها تحدث (أمينة) صديقتها .. فى اليوم التالى فكرت أنه لن يضيرها يومين أو ثلاثة فى العمل .

* * *

انتهت (يارا) من تزيين عروس جلست لتستريح قليلاً .. التفتت لتجد مس (توتا) تعاود النظر إلى شعرها فمدت (يارا) يدها بتلقائية تتحسسه .

- من قص لك شعرك ؟

- أنا فعلت .. ألا يعجبك !

اقتربت مس (توتا) من (يارا) وأمسكت بأطراف شعرها .

- إنه يعطيك مظهرًا فوضويًا .. خاصة مع ملامح حادة كملامحك .

لم تتضايق (يارا) من وصف مس (توتا) لمظهرها بالفوضوية أو لملامحها بالحدة .. كانت قد تعرفت شخصية مصففة الشعر وأدركت كم هى صريحة وكم هى ماهرة فى عملها .

- هل تريدين تغييره ؟

سألت (يارا) مس (توتا) التى ردت بعد لحظة صمت قصيرة :

ـ شكل الشعر هذا يستفزنى وأود تغييره بالطبع .. لشىء أكثر نعومة ، لكن هذا غير مهم ، السؤال هو .. هل تريدين أنت تغييره ؟؟

هل كانت مس (توتا) تنتظر رد (يارا) بالفعل ؟ كانت مس (توتا) قد وقفت خلف (يارا) وأمسكت أطراف شعرها وعلى الفور جاءت المساعدة لتضع فوطة نظيفة على صدر (يارا) لتغطى ملابسها وقامت بإغلاق الأطراف خلف عنقها .. بعد لحظات قليلة من عمل المصففة على شعر (يارا) بدأ التغيير يظهر .. لم تصدق (يارا) ما حدث بضربات قليلة من المقص ..

تحولت قصة شعرها إلى شىء آخر تمامًا ..

أصبحت الكتلة المتمردة ـ كما اعتادت وصفها ـ قوامًا ناعمًا طيِّعًا بين يدى مس (توتا) .. وانعكس هذا على مظهر (يارا) بصورة أكثر من مرضية ..

ظهر اتساع عينيها ولونها بطريقة جميلة وقللت من وضوح وجنتيها ..

شعرت (يارا) بأن إحساسها كله تغير ، أن شيئًا تغير داخلها بصفة دائمة وأن التغير لم يقتصر على شكلها فقط .

ـ ألا تريدين تغيير لونه ؟

هزت (يارا) رأسها رافضة ، فلم تكن تفكر فى تغيير لون شعرها الطبيعى ، البنى الغامق ، المتناسب مع لون عينيها ولون بشرتها .. كانت تحب أن تظل على طبيعتها بقدر المستطاع ، ورأت فى هذا أجمل طريقة تتزين بها .

لم تستطع (يارا) منع نفسها من تحسس شعرها بين الحين والآخر ليومين أو ثلاثة .. ولم تصدق رد فعل أمها التى لم تعترض للحظة على انها قصت شعرها دون أخذ أذنها .. بدت مبهورة بالشكل الجديد الذى أضفته قصة الشعر الجديدة على ابنتها .

كل العاملات بالمركز علقن بشكل أو بآخر على قصة الشعر ، حتى مدام (نانا) ألقت نظرة دهشة واستحسان متعالية .. أما (عمر نصير) فقد ذهل من

التغيير وتوقف أمامها منبهرًا قبل أن يرمقها بنظرة لم ترها فى عينى أحد من قبل .. أبعدت القلق من نفسها مفكرة إنه على أى حال رجل كبير السن .

★ ★ ★

ضايق (يارا) عدم انتظامها فى الكلية ، وأدركت أنها لن تستطيع الاستمرار طويلاً على هذا الحال فأخبرت مس (توتا) عن نيتها لترك العمل من أجل الدراسة :

ـ فكرت فى أن أخبرك من الآن لكنى سأبقى حتى تجدى شخصًا آخر ، وأعتقد أن هذا لن يكون صعبًا .

لم تجادلها مس (توتا) كثيرًا وهى تعلم أهمية الدراسة لـ (يارا) .. كانت قد فهمت ببساطة كيف أن الدراسة تمثل لـ (يارا) شيئًا مهمًا وكبيرًا .. بعدها بوقت أخبرتها مس (توتا) أن (عمر بك) يرغب فى رؤيتها ..

دخلت (يارا) إلى مكتب الإدارة والذى لم تكن قد دخلته منذ يوم المقابلة الشخصية .. لتجد

(عمر نصير) جالسًا خلف المكتب وهو يرتدى إحدى بذلاته الأنيقة .

ـ آنسة (يارا) ..

أومأ لها وقام نصف وقفة وأشار لها لتجلس .

انتظرت أن يبدأ الحديث لكنه لم يفعل وتأملها بنظرات ضايقتها فقالت :

ـ أخبرونى أن حضرتك تريدنى .

قالت أى شىء لتقطع الصمت .

ـ بالتأكيد أريدك ..

قالها بطريقة وترت (يارا) .. قبل أن يكمل :

ـ لقد سمعت أنك تريدين تركنا .. هل هذا حقيقى ؟

ـ أجل .

ـ لماذا ؟ هل ضايقك أحد ؟

- لا ، ولكنى سأكمل دراستى ، ولن يكون هناك وقت للعمل .

- ولم لا .. تستطيعين العمل لجزء من الوقت ولو ساعتين كل يوم .

- ولكن ...

حاولت (يارا) الاعتراض وإخباره باستحالة ذلك لكنه قاطعها :

- لا يوجد لكن ، تعالى واعملى وقتما يناسبك ، أنت عملك ممتاز ونحن لانستطيع الاستغناء عنك .

قام من خلف المكتب ودار حوله ليجلس فى مواجهتها وانحنى نحوها قائلاً :

- يبدو أنك لاتعرفين مكانتك لدينا .. ولا تقدرين قيمتك ..

نظر لها ليرى تأثير كلامه عليها ، لكنها كانت تنظر فى الأرض .

- سأبقى على أجرك كما هو .. أنت لبقة .. وماهرة فى عملك وجميلة ..

عاد يتأملها وسمعت (يارا) صوت تردد أنفاسه واضحًا :

- جميلة جدًا .

انتاب (يارا) إحساس بالخطر سيطر عليها وشل تفكيرها .. كان أسلوبه غريبًا وصوته غير طبيعى .. كان هناك شىء مفتعل أو مبالغ فيه .. أحست بأن الحجرة تضيق عليها .. قامت منتفضة وهى ترتعش :

- ماذا هناك ؟

سألها (عمر) وهو يقف فى رد فعل تلقائى لوقوفها .

- لاشىء .

قالت فى ارتباك ثم أكملت :

- تذكرت .. أن .. عميلة .. هناك ميعاد مع عميلة .

خرج الكلام بلا انتظام .. حاولت التراجع وهى تتكلم :

- الساعة الآن ...

نظرت فى ساعتها ..

- السابعة كما ترى .

كانت تعرف أن ماتقوله بلا معنى ، كل ماكان يهمها أنها تسير فى اتجاه باب الخروج ، وأنها ستكون خارج المكتب فى لحظة ..

أسرعت بالهروب دون أن تعرف مم تهرب بالضبط ..

أو إن كان سيؤذيها ..

شعرت بألم حاد فى صدرها ..

كانت نبضات قلبها تدق بسرعة شديدة ، وتسارعت أنفاسها حتى إنها كانت تلهث ..

خافت من أن يغشى عليها ، لكنها خافت أن تجلس فتجده قد أتى خلفها ..

« أنا لن أعود أبدًا لهذا المكان » قررت (يارا) فى نفسها بحزم .

* * *



٨

سارعت (يارا) بالذهاب إلى مس (توتا) وأخبرتها أنها تشعر بأنها ليست على ما يرام واستأذنت منها لتغادر .

- سأرسل معك من يقوم بتوصيلك ..

- لا ..

رفضت (يارا) فى فزع ثم استدركت عندما تنبهت لقلق مس (توتا) عليها وأكملت فى أكبر قدر من الهدوء تستطيعه :

- شكرًا ، سأكون بخير .

عادت إلى المنزل مرتبكة ..

غاضبة ..

خائفة ..

كان هناك خليط من مشاعر سيئة يملؤها ..

سارعت تدخل إلى حجرتها بمجرد دخولها إلى المنزل أبدلت ملابسها واندست تحت الغطاء .. غطت جسدها بالكامل وسحبته ليغطى وجهها ..

حاولت إقناع نفسها أن شيئًا لم يحدث لكل هذا .. لكنها لم تستطع منع جسدها من الارتعاش ..

حمدت الله على أنها وصلت منزلها سالمة ..

وعادت تؤكد لنفسها أنها لن تدخل هذا المكان مرة أخرى أبدًا .. أبدًا .

* * *

ركبت (يارا) تاكسيًا فى أول يوم لها بالكلية ، فقد كان عليها ركوب مواصلة إلى الترام ثم تركب لتنزل فى محطة الفنون الجميلة أو جليم كما كان الجميع يدعونها وهى تشعر بالسعادة تملؤها .. كان القصر القديم الذى تشغله الكلية قد تم ترميمه حديثًا مع المحافظة على النمط المعمارى له .. كما أضيف مبنى جديد وكان هناك جدارية من الموزايك تزين حائطًا جانبيًا ..

رأت (يارا) المكان مهيبًا وجميلاً ..

كذلك كان الطلاب حولها يحملون أدوات أو لوحات فى حقائب مخصصة لذلك ، وتخيلت نفسها مندمجة وسطهم بعد وقت قصير ..

كان الجميع فى حركة دائبة أو مجموعات ، أو ثنائيات ، حتى يتحدثوا أو يتجهوا لمكان ما ، كانت (يارا) تريد السؤال عن مكان شئون الطلاب ولم تعرف من تسأل ..

اختارت فتاة بدت كبيرة سنًا لتسألها فأشارت الفتاة لأحد المداخل وهمت (يارا) باستيضاحها لكنها كانت قد تحركت ، فتابعت طريقها :

لم ترفع (يارا) صوتها حتى ، وهى تنادى ، مدركة أن أحدًا لن يهتم .

وجدت (يارا) أمامها (شابًا) فارع الطول يسألها بابتسامة :

ـ لو سمحت يا آنسة .

ماذا تريدين ؟

ردت (يارا) بصوت خافت ..

ـ كنت .. كنت أسأل عن شئون الطلاب .

لم تكن تود أن تبدو قليلة الحيلة ، وكانت فى العادة تنجح فى شق طريقها فى أى مكان .. لكن الكلية أدخلت على قلبها بعض الرهبة ، وأحبت أن تطمئن نفسها بأن هذا أول وآخر يوم تكون فيه على هذا الحال .

سألها الشاب فى بساطة :

ـ هل أنت طالبة مستجدة ؟

ردت (يارا) فى هدوء :

ـ أجل .

عاد يسألها :

ـ منقولة من كلية أخرى ؟

كان مندهشًا وتنبهت (يارا) إلى أنه يشير لتأخرها بالنسبة لزملائها، لم تكن فى حال تسمح بأن تقص عليه - وهو غريب عنها - قصة انتظارها للنتيجة وعملها، لن تحكى له تفاصيل حياتها فقالت باقتضاب :

- لا .. ولكن التنسيق تأخر .

أشار بيده إلى صدره وعرفها بنفسه :

- أنا (حبيب) .. طالب فى ثالثة عمارة .

ردت (يارا) وهزت رأسها قائلة :

- تشرفنا .

نظر لها متسائلاً :

- لم تعرف ماذا تقول أكثر من ذلك ؟ ثم انتبهت إلى أنه يريد معرفة اسمها فقالت :

- (يارا) .. اسمى (يارا) ..

ابتسم مُرحبًا وقال :

- أهلاً بك فى كلية الفنون الجميلة يا (يارا) ..

دلها حبيب على مكان شئون الطلاب بوضوح، وأخبرها باختصار عن أماكن المكتبة وكل قسم من الأقسام وتركها ولديها فكرة جيدة عن الأماكن التى عليها التوجه إليها ..

* * *

كانت الأيام الأولى لـ (يارا) فى الكلية أكثر من مبهرة ..

طريقة التعامل بين الطلاب شباب وشابات، ملابسهم شديدة التنوع والتى تتراوح بين ملابس شديدة البساطة وعملية جدًا يرتديها غالبية الطلاب وملابس شديدة التأنق قدرت (يارا) أنها لا تناسب بأى حال من الأحوال الكلية ..

كذلك كانت طلبات الدكاترة .. كانت متباينة ومختلفة كما هى أراؤهم بالضبط، فإن أشاد أحدهم بعملها يراه آخر منتهى الفشل .. أو شيئًا لا يستحق النظر إليه ..

بالإضافة للتكلفة المالية المرتفعة ، كان هذا جانبًا بذاته ..

شعرت (يارا) فى بعض الأحيان بأنها دخلت فى شىء أكبر منها « ربما تفوق الكلية قدراتى وإمكانياتى !! » سألت (يارا) نفسها هذا السؤال وهى تراقب الطلاب من حولها .. لكنها لم تفكر فى التراجع ..

كانت إرادتها أقوى من هذا بكثير ..

وكانت تعلم أنها مدينة لنفسها بخوض هذه التجربة لنهايتها .

* * *

عادت أمها تحدثها عن (عابر) ، هذه المرة لم تعترض برغم أنها كانت حائرة ولا تعرف كيف تتخذ قرارها ..

كانت قادمة من يوم متعب فى الكلية .. تحدثت مع أمها ثم دخلت حجرتها ، استلقت على سريرها

ووضعت شريط أغانٍ لمطربها المفضل واختارت أغنية رومانسية واستمعت لها ..

بالتأكيد أسعدها أن (عابر) ما يزال يريد مقابلتها ..

لكن ، أين طموحاتها وأحلامها ؟

هل كان الموضوعان متعارضان ؟

نعم كانت دوامة الدراسة ورغبتها فى إدراك ما فاتها فى أوجها ، وشعرت (يارا) بأنها دوامة قد لا تعرف كيف تفلت من إسارها .. لكن الزواج ..

الزواج ماذا ..

« هل أستطيع التوفيق بين الدراسة والزواج ؟ » فكرت ثم استنكرت تفكيرها بهذه الطريقة .

تساءلت ماذا حدث لها لتفكر وكأنها وافقت بالفعل على الزواج كمبدأ فى هذا التوقيت ، والزواج من (عابر) بالذات ، خاصة وهو يعمل محاميًا .. ماذا كان لديها ضد المحامين ؟ هذا شىء كان عليها أن تناقشه مع (عابر) .

تركت أمها تحدد اللقاء الثالث هذا إذا احتسبت يوم حفل خطبة جارتها حيث رآها لأول مرة ..

كانت قد ظلت تفكر طوال النهار فيما سترتديه .. استعرضت ملابسها لتختار ما سترتديه بعناية ..

وهى جالسة أمامه لم تستطع مقاومة مد يدها إلى شعرها لتعبث فى أطرافه ..

كانت والدتها تتحدث إلى والدته ، وبدا صوتهما بعيدًا عن نطاق سمع (يارا) برغم أنهما لم يكونا يجلسان بعيدًا .. فكرت (يارا) أن الاثنتين متوافقتان بصورة مدهشة .

* * *

لم تستطع (يارا) النظر إليه لتعرف ما رأيه فى مظهرها الجديد ، برغم فضولها الشديد .. كانت قد لمحت فى عينيه سعادة صافية بلقائها عندما حياها فى بداية اللقاء .

ـ هل فكرت ؟

كانت هذه أول كلمات (عابر) بخلاف التحيات التقليدية التى طال الصمت بعدها ..

فكرت (يارا) كم عمره ؟ إنه فى السابعة والعشرين وهى فى العشرين ..

بل فى الحقيقة ما زالت فى التاسعة عشرة من عمرها ..

أى أن الفارق بينهما ٨ سنوات ..

رفعت بصرها تنظر له فابتسم لها فابتسمت بتلقائية .

ـ لماذا اخترت العمل كمحامٍ ؟

فاجأته بالسؤال ردًا على سؤاله ، وأحب سؤالها له عن عمله واهتمامها بمعرفة سبب اختياره له ، لكنه كان متشوقًا أولاً لمعرفة رأيها ليطمئن قلبه ويستقر .

ـ لقد بدأت أنا السؤال ؟

ـ ربما سؤالى جزء من الإجابة !

فيمَ كانت ستفكر ؟؟

وكيف كان بإمكانها إعطاؤه ردًا على أى شىء .. وكل ما استطاعت معرفته من معلومات عن طريق والدتها كان سنه وعمله كمحام وأن له أختين وأخوين وهو وسط بين إخوته ووالده مسافر فى دولة عربية ..

كانت هذه كل معلوماتها عنه ، وكانت بالتأكيد تريد معرفة المزيد ..

ـ حسن سأجيب .. المسألة لم تكن مسألة مجموع أدخلنى كلية الحقوق أو اقتناعى بمهنة المحاماة بل كانت بين هذا وذاك ..

فكرت (يارا) و (عابر) يسهب فى الكلام فى مقولة سمعتها عن أن مهنة المحامى هى الكلام .. استخلصت من كلامه أنه يحب مهنته ويقدرها ..

ـ لقد سمعت الكثير عن تجاوزات المحامين وعن استغلال ثغرات القانون وقضايا التعويضات وقضايا المخدرات ..

إن لم تكن معلومات (يارا) مستقاة من الجرائد والمجلات فيكفيها ما شاهدت من المسلسلات والأفلام التى تناولت هذا الموضوع ..

وكان سؤالها مقدمة لمرافعة أخرى لإقناع (يارا) بأن هناك فى كل مهنة الأشراف وغيرهم .. وأن مهنة المحاماة لو أحسن استغلالها كانت فى مقدمة المهن التى تخدم الخير والحق والعدالة .. نظرت (يارا) إلى (عابر) مبهورة بمنطقه وبكلامه مقتنعة بكل كلمة يقولها .. على الأقل يبدو أنه محام ناجح !

* * *



٩

فوجئت (يارا) بزيارة فتاة كانت تعمل معها فى مركز التجميل فاستقبلتها واندهاشها من حضورها واضح على وجهها دون أن تحاول إخفاءه ..

- المدام أرسلتنى إليك .

- المدام ؟!!!

- مدام (نانا) .

- ولم ؟

- تريدك أن تعودى .

كانت (يارا) تعرف أن مدام (نانا) لاتهتم بها فى كثير أو قليل ، لم تكن بينهما علاقة تسمح بأن تسأل عنها ، ولم يكن لها دور كبير فى الإدارة إذ كانت مختصة بالعلاقات العامة فقط .

قالت الفتاة دون ارتباك :

- أولاً هناك عملاء يسألون عنك بالاسم .

لم تعجب الإجابة (يارا) فسألتها :

- وثانيًا ؟

عادت الفتاة تجيب فى ثقة :

- وثانيًا لم تأخذى مستحقاتك المالية .

نظرت لها (يارا) مندهشة ، ربما لو كانت مس (توتا) هى التى أرسلت تقول هذا الكلام لتقبلته (يارا) .. لكن مدام (نانا) !! شىء لايعقل .

- ولماذا لم تأت بالنقود معك ؟

سألتها (يارا) متشككة ، فردت الفتاة دون لحظة تفكير واحدة وكأنها تحفظ الكلام عن ظهر قلب :

- لأنها تريد التأكد بنفسها أن النقود وصلتك.. كما تريد إقناعك بالبقاء معنا ولو للعمل مع بعض العميلات أو فى أيام المناسبات .

فكرت (يارا) .. هل تذهب ؟

أغراها أن تذهب لأخذ النقود ، على أى حال هى نقودها ..

لم يكن المبلغ صغيرًا وكان هذا هو مجهودها .. لكن ...

لكن هناك شيئًا مقلقًا فى الكلام ..

لماذا مدام (نانا) ؟ وما دخلها فى الأمر ؟

نظرت (يارا) للفتاة متشككة دون أن تستطيع حسم أمرها ..

(عمر نصير) .. قفز إلى ذهن (يارا) ليس الاسم فقط ولكن الشخص بلحمه ودمه .. تذكرت آخر محادثة له معها وتذكرت قسمها بألا تعود ...

- سأفكر وأحاول المرور عليكم قريبًا .

أنهت الحديث مع الفتاة وصرفتها بلباقة وتركت الباب مفتوحًا أمامها فربما احتاجت للذهاب إلى المركز فى أحد الأيام ، ولو لمقابلة مس (توتا) ..

كانت تتمنى لو تستطيع التعامل مع بعض العميلات ، لكن بدون هاتف منزل من سيصل إليها ..

أبعدت (يارا) كل هذه الأفكار عن عقلها مؤقتًا وقامت لتستذكر .

* * *

كان هذا هو أسبوعها الثانى فى الكلية ومع ذلك شعرت بأنها تائهة .. ربما أكثر مما كانت عليه أول يوم فى الدراسة مع الصداقات القليلة جدًا التى بدأت فى تكوينها .. وشعورها بأنها أكبر من زملائها سنًا برغم أنها لم تكن أكبر بكثير ..

كانت جالسة فى فناء الكلية بعد أن أنهت محاضرة طويلة تنظر تجاه محطة الترام الظاهرة من سور الكلية الحديدى .. تفكر فى صعوبة الدراسة عندما فاجأها شخص بالكلام :

- كيف حالك ؟

نظرت (يارا) نحوه وتذكرته على الفور ، كان هذا الشاب الذى قابلها فى أول يوم دراسة لها وأخبرها أنه فى قسم عمارة فى السنة الثانية أو الثالثة .. لم تذكر اسمه .. نظرت له دون أن ترد .

- (يارا) أليس كذلك ؟

أومأت له دون أن تستطيع مبادلته الابتسام .. نظر إلى تعبيرها وتصنع الاعتذار .

- الوقت غير مناسب ؟

- لا أبدًا .

كان هناك ألم فى رأسها .

- هل أنت بخير ؟

هل لاحظ لمحة الألم فى وجهها ؟ سارعت (يارا) بالرد :

- بالطبع أنا بخير .. إنها الكلية .

- ما لها !!

- لم أعتد عليها بعد .

سارع بإخبارها أنها مجرد أيام وستشعر بأنها بخير ، طمأنها وشجعها ، كانت كلمات تقليدية لكنها كانت بحاجة لسماعها ..

ثم سألها إن كانت قد انضمت لإحدى الأسر بالكلية ؟ ولما ردت بالنفى طلب منها الانضمام لإحدى الأسر بالكلية ، وأخذ يكلمها عن أن الحياة الجامعية إن لم تتضمن نشاطًا ثقافيًا أو اجتماعيًا . تصبح بلا معنى ، وحدثها عن الانتخابات ؛ وأهمية إعطائها لصوتها .

كان يتكلم دون أن ينتظر منها ردًا ، وأنصتت له (يارا) دون أن تقرر شيئًا . لم يكن موعد المحاضرة قد جاء بعد ، ولاضير من معرفة القليل عن حياة الكلية التى لايبدو أنها ستستمتع بها أبدًا .. هكذا فكرت ..

فى النهاية وعدته أن تفعل فتركها وذهب دون أن تسأله عن اسمه أو تتذكره ، نظرت فى ساعتها فوجدت أن موعد المحاضرة قد حان فقامت لتحضرها .

* * *

كان مجىء (عابر) إليهم فى المنزل مع والدته مفاجأة لها هذه المرة، لكنها لم تكن مفاجأة سيئة ..

استقبلته بابتسامة ودود .. كان مصممًا على لقاء أخويها هذه المرة .

- أنا لست مستعدة للارتباط حاليًا .

كان هذا أفضل ما استطاعت قوله، ولم تكن ترفضه لكنها لمحت الضيق فى عينى (عابر) .

- ماذا تقصدين بـ «حاليًا» ؟

- هذه الأيام .

- وبعدها ؟

كان يريد كلامًا واضحًا وفكرت (يارا) أنه يستحقه لكنها لم تكن تملك هذا الرد لتعطيه إياه .

- أنا لا أعرف .. الكلية صعبة جدًا أشعر بأنى لا أقدر عليها .

كانت الحيرة تملأ وجهها البرىء بصورة حركت مشاعره وجعلته يرغب فى حمايتها ومساعدتها .

- وأين كلامك بأنك ستعملين وتدرسين وتنظمين وقتك !

كان يشجعها لكنها كانت محبطة .

- يبدو أنى كنت أبالغ .

- لا داعى للعمل .. لكن من المؤكد أنك تستطيعين تنظيم وقتك بين الدراسة وأشياء أخرى .

فهمت (يارا) أنه يقصد الزواج فتصاعدت حمرة خفيفة إلى وجهها ..

هل هذا وقته ؟ فكرت (يارا) ..

ولم تحتج لأن ترد، فقد حددت أمها موعدًا مع (عابر) لملاقاة أخويها دون أن تعترض (يارا)، فهو على أى حال يشغل حيزًا من تفكيرها، وربما كان من الأفضل وضع النقاط فوق الحروف ليتحدد إن كان سينتظرها حتى تكمل دراستها أو ...

أو ماذا ؟؟

أيهما كانت تريد ؟ وهل سترفض لو قرر أنه لن ينتظرها ؟

كانت (يارا) متأكدة أنه لن ينتظر .. كان اقتراحه هو أن يتزوجا على الفور ، وتكمل دراستها فى أثناء زواجهما ..

تذكرت (يارا) ماقاله لها عن أنه لن يثقل عليها فى شىء ، وأنه على استعداد لتأجيل موضوع الإنجاب ..

كلامه فى هذا الموضوع أحرجها وتظاهر بأنه لم يلحظ إحراجها وأكمل قائلاً إنه سيساعدها فى كل شىء ، وإنه مستعد حتى لمساعدتها فى الدراسة ذاتها ..

هل كان صادقًا أم كانت مجرد وعود وردية ؟ شعرت (يارا) بأنه صادق ولكنها كانت متعجبة من التحول فى كلامه وسألته :

ـ لكنك كنت تقول إنه لاداعى لأن أكمل الدراسة .

ـ أنا لم أقل هذا .. تذكرى جيدًا ماقلته .. لقد سألتك لم تريدين إكمال الدراسة ، كنت أود معرفة ماذا تمثل الدراسة بالنسبة لك .

فرحت (يارا) لأنه يشجعها على الدراسة .. كان بإمكانه استغلال ضيقها الحالى بالدراسة وخوفها منها ليجعلها تتركها وربما كانت فعلت ..

ذهلت (يارا) لوصولها لهذه القناعة .. أمن المعقول بعد كل هذا الجهد الذى بذلته يمكنها التنازل عن أحلامها بهذه البساطة ؟؟!!! لاتدرى ..

لم تعد متأكدة من شىء ..

لكنها كانت تأمل من كل قلبها أن تكون أقوى من هذا .

* * *



خرجت (يارا) من باب الكلية وهى تشعر بالضيق من صعوبة الدراسة .. لم تكن الدراسة كما تخيلت على الإطلاق، اعترفت (يارا) أن أحلامها كانت وردية أكثر من اللازم ..

لكن الدراسة كانت كابوسًا حقيقيًا ..

كانت (يارا) تتصور أنها موهوبة بما يكفى لأن تنجح وتتفوق، لكنها اكتشفت أنه وإن رآها البعض موهوبة فالآخرون قد لايرون ذلك ..

كما أن الدراسة النظرية لم تكن تقل أهمية عن الدراسة العملية فى الكلية، وهذا الجزء النظرى مثَّل صعوبة لـ (يارا) التى غالب مهارتها يكمن فى العمل بيديها ..

فكرت فى أن تتمشى على البحر قليلاً لعلها تهدأ

وتشعر بالقليل من الراحة النفسية، كادت (يارا) أن تصطدم بسيارة مارة لأن السيارة توقفت بينما كان من المفترض أن تستمر فى السير، وبرغم أن (يارا) كانت مشغولة الفكر إلا أنه كان خطأ سائق السيارة وليس خطأها، تحركت (يارا) لتفسح الطريق للسيارة لكنها فوجئت بأنها تتبعها تقريبًا ..

نظرت (يارا) للسيارة لتفاجأ بأنها سيارة (عمر نصير) ووجدته جالسًا خلف عجلة القيادة، تلاقت نظراتهما ..

- (يارا) ..

ضايقتها طريقته فى لفظ اسمها ونداؤه لها فى الشارع ولو لم يكن بصوت عال ..

« لن أجرى فى الشارع » .. قالت (يارا) فى نفسها .. رافضة أن تسمح للذعر بأن يستولى عليها ..

نظرت حولها ، لم يكن هناك ما يخيف ، فلن يخطفها فى وسط الشارع المليء بالحركة سواء حركة المرور أو الأشخاص ..

ركن السيارة ونزل منها وتوجه ناحية (يارا) ..

كان وجهه هادئًا أما عيناه فلا .. خفضت (يارا) عينيها كى لا ترى النظرة الموجودة فى عينيه والتى أخافتها وضايقتها ، كانت نفس نظرته إليها عندما كانت فى مكتبه ..

ـ (يارا) .. كيف حالك ؟ لم أصدق نفسى عندما رأيتك .. إنها أحسن صدفة حدثت لى ..

حركت (يارا) رأسها فى حيرة ، لم تصدق أنها مجرد صدفة ، أكمل هو :

ـ لماذا لم تأت لزيارتنا ؟ ألم تكن عشرة بيننا وبينك ..

ازدردت ريقها بصعوبة ولم تعرف ماذا تقول ، أرادت أن تتصرف ببساطة ، لكنها لم تستطع التحرك ..

نظرت حولها تلتمس العون ..

لكن ممن ؟!

كان كل إنسان فى حاله ، ولم يكن بإمكان أحد أن يتوقع أنها فى ورطة ..

حاولت طمأنة نفسها بأن بإمكانها التصرف وأنها لاتحتاج لعون ..

ـ لقد أوحشتنا جدًا ..

شعرت (يارا) بجسدها يتصلب وبريقها يجف .. كانت تشعر بالخوف كما لم تشعر به فى حياتها ..

التقطت أذناها صوت بوق سيارة ينطلق بإلحاح .. نظرت لتجد أنه سائق إحدى السيارات يطلق بوق السيارة ليفسح عمر له الطريق بسيارته ..

أشارت لـ (عمر) لينظر فلم يبد عليه أنه سمع أى شىء ..

كان صوت أبواق السيارات محدودًا فى الشارع إن لم يكن منعدمًا ، فقد كانت مخالفة إطلاق البوق الكبير ، وكان هناك التزام من غالبية السائقين ..

لكن سيارة عمر كانت تقف فى طريق هذا السائق للدخول إلى جراج خاص ..

ـ ممنوع الوقوف هنا ..

استطاعت أخيرًا أن تقول شيئًا ..

نقل نظره بين سيارته والسيارة الأخرى ثم عاود النظر لـ (يارا) ، بدا عليه أنه لا يريد تركها ، كان يفكر فى تجاهل السائق فسارعت توجهه :

ـ اذهب وحرك السيارة ..

كان السائق الآخر يهم بالخروج والتوجه نحو السيارة لمحاولة تحريكها مما ساعده على حزم أمره ..

ـ انتظرينى هنا وسأعود فى لحظة ..

ـ متأسفة ، لدى محاضرة الآن ..

قالتها دون أن تأبه إن كان سمعها أو لا ، وعادت أدراجها إلى الكلية ..

دخلت الكلية واندست وسط الطلاب وهى تدعو اللّٰه ألا يتبعها ، كانت تعرف أنه إن تبعها تستطيع ببساطة جعل حرس الكلية يطرده ..

لكنها لم تكن تريد إثارة ضجة أو فضيحة لنفسها ، وعادت تدعو اللّٰه ألا يتبعها ..

أنبت نفسها على ضعفها هذا .. فلم تكن فى العادة هكذا ، لكن عمر هذا كان هناك شىء خطير فيه يخيفها ويرعبها حتى الفزع ..

ولم تكن تريد التقليل من شأن التهديد الذى يمثله ..

بقيت فى مكتبة الكلية تحاول الاستذكار لوقت قدرت أنه كافٍ ، وخرجت من باب الكلية مسرعة إلى محطة

الترام ، وركبت أول ترام توقف أمامها دون أن تنتظر حولها ..

لم تصدق نفسها عندما دخلت إلى البيت واتجهت إلى حجرتها على الفور ، أغلقت الباب خلفها وجلست على السرير ..

كانت ترتعد ودقات قلبها كدقات الطبول فى أذنيها .. فكرت (يارا) بعد أن هدأت أنها ربما بالغت فى ردة فعلها ، فلم يكن فى يديه شىء يفعله ..

وربما كان مجيئه مجرد صدفة كما ادعى .. كان هذا ما تريد (يارا) تصديقه لترتاح ، لكن الأمور سرعان ما تكشفت لتثبت لها أنها كانت على حق فى كل شكوكها ..

* * *

عادت تلك الفتاة من مركز التجميل تزورها ، هذه المرة لم يكن لدى (يارا) استعداد حتى للتظاهر بحسن استقبالها .. حاولت الفتاة إقناعها بالقدوم

للمركز مرة أخرى ، ولما أحست أنه لا استعداد لدى (يارا) لأن تأتى أخبرتها الفتاة أن مدام (نانا) ستأتى لزيارتها مساء غد وانصرفت ..

سألتها أمها بعد ذهاب الفتاة « ما القصة !! لماذا لا تريدين الذهاب للمركز ، حتى ولو لأخذ أجرك ؟! »

شعرت أمها أن هناك سرًا ما لإصرارها على الرفض ، وليس موضوع انشغالها فى الكلية أو الاستذكار ، ولكن كل هذه مجرد حجج واهية لإخفاء الحقيقة ..

أطرقت (يارا) بوجهها كى لا ترى أمها علامات الذنب التى عرفت (يارا) إنها ظهرت على وجهها ، فلم تكن قد قصّت على أمها أى شىء مما حدث ..

كانت قد قدرت أنها ستستطيع التصرف وحدها ..

لم ترد إقلاق أمها ..

هذا كان مبررها ، لكنها في الحقيقة لم ترد الاعتراف بأن هذا العمل لم يكن مناسبًا وبخطئها في قبوله والاستمرار فيه ..

أرادت أن تحكى لأمها أكثر من مرة لولا أنها خافت أن توبخها ، ولم تكن تريد سماع أنها أخطأت ..

لم يكن تصرفًا صحيحًا لكنها لم تكن تريد سماع لوم من أمها ..

لكنها قررت أن تحكى لأمها كل شىء ، فلم تعد تفهم أى شىء ، ولم تعد متأكدة أنها مسيطرة على الموقف أو تستطيع السيطرة عليه ..

وكيف تسيطر على شىء لا تعرفه ؟

★ ★ ★

انتظرت (يارا) كلمات اللوم والتوبيخ من أمها .. لكن النظرة التى رمقتها بها أمها كانت أقسى عليها ، كانت نظرة واحدة كافية فيها تساؤل واضح

« لماذا لم تخبرينى ؟ » هربت (يارا) من نظرات أمها ، لم تكن علاقتها بأمها تتضمن صداقة تسمح لها بأن تحكى لها كل ما يخطر ببالها من أفكار مجنونة ، أو كل ما يحدث لها من مواقف قد يكون بعضها محرجًا ..

كان هناك حاجز بينها وبين أمها تمنت (يارا) أن يتهدم ؛ لأنها كانت منغلقة جدًّا وتقريبًا لم يكن لها فى هذه الدنيا إلا أمها ..

هذا الكلام لم تقله لأمها لأنها كانت تعرف أنه سيجرحها ..

ـ لا تقلقى .. أنا سأتصرف عندما تأتى مدام (نانا) هذه .. وسأعرف كيف أرد عليها ..

تعجبت (يارا) من أن أمها تتكلم وكأنها تعرف ما سبب زيارة مدام (نانا) ..

ـ لكن ماذا تريد مدام (نانا) ..

نظرت لها أمها بغموض وقالت :

- لا تشغلى بالك ، أنا أعرف ماذا تريد والرد جاهز عندى ..

لم تجرؤ (يارا) على العودة لسؤال أمها ، يكفيها أنها لم تستمر فى غضبها منها ..

لكنها لم تستطع تخيل ماذا يمكن أن تريد مدام (نانا) منها ، وكيف تقبل هذه السيدة المتعالية زيارتها لأى سبب كان ..

فكرت ، إنها تستطيع الانتظار للغد وقلبها مطمئن هذه المرة .. فأمها ستتصرف وبالتأكيد سيكون التصرف الصحيح ..

نامت (يارا) هذه الليلة نومًا مريحًا أفضل بكثير من الليالى السابقة ، وقد ارتفع هم ثقيل من على صدرها ..

* * *



تحرقت (يارا) شوقًا لسماع ما ستقوله مدام (نانا) ، وتشوقت أكثر لسماع رد أمها عليه ، وتوقعت أن أمها لن تسمح لها بالتواجد فى هذا اللقاء ، ولكنها ولدهشتها الشديدة أخبرتها أن تتجهز لاستقبال مدام (نانا) وكأنه أمر مفروغ منه ..

هناك مرات كثيرة لم تستطع فيها (يارا) فهم أمها أو طريقة تفكيرها ، وبالتأكيد كانت هذه إحدى المرات ، ولكنها أطاعتها .. أمها لن تقول كالعادة ولكن على الأقل فى الغالب كانت تفعل عندما لا تجد أنه من الصعب عليها سماع كلام أمها ، وهذه المرة بالذات لم تكن هناك أى صعوبة ..

وبرغم أن فكرة مقابلة مدام (نانا) غير مريحة لكن الفضول كان يقتل (يارا) ..

* * *

دخلت مدام (نانا) إلى بيت (يارا) وهى تتفحصه بنظرات راضية وبابتسامة هادئة .. لم تفهم (يارا) سبب هذه النظرات .. لكن والدتها فهمت .. كانت مدام (نانا) راضية لأنها وجدت البيت كما توقعته بيتًا بسيطًا فى منطقة شعبية، والشقة نفسها ينطبق عليها هذا الوصف .. كانت تبدو وكأنها وفقت فى زيارتها من قبل أن تبدأها ..

ارتدت مدام (نانا) هذه المرة باروكة من الشعر الأصفر، وناسبها هذا اللون عن اللونين الأسود والأحمر، وأفرطت فى مكياجها المعتاد والذى بدأت (يارا) تعتقد أنه يناسبها تمامًا، وأنها لن تكون هى إن غيرت أى شىء فيها .. بدءًا بمكياجها، ومرورًا بملابسها ذات الجيب القصير الذى يرتفع فوق الركبة قليلاً، والبلوزة ذات فتحة الصدر السخية على شكل V ويحيطها كرانيش .. كانت دائمًا ترتدى موديلات متشابهة .. تظهر قوامها الممتلئ دون إفراط ..

انشغلت (يارا) فى تأمل مدام (نانا) وكانت أول كلمات التقطتها أذنها هى طلب عمر بك الزواج بها، فوجئت (يارا) بالطلب، وبغض النظر عن أى اعتراضات لـ (يارا) على طلب (عمر) والذى نزل عليها كالصاعقة .. كان قدوم مدام (نانا) لتطلب يدها لغزًا دون تفسير ..

لماذا لم يأت هو ؟ ولماذا لم يرسل أحدًا من أهله .. وكيف تخيل هو أو (نانا) هذه للحظة أنها قد تقبل أو حتى تفكر فى الموضوع .. كيف جاءتهم الجرأة للقدوم إلى بيتها وطلب شىء كهذا ؟!

نعم هو أنيق ويحافظ على نفسه ويبدو شابًا لكنه « يبدو » فقط، أما فى الحقيقة فعمره يزيد على ضعف عمرها ..

ألجمت الدهشة لسان (يارا) وشتت الغضب تفكيرها برغم أنها أرادت الصراخ والرفض لكنها ظلت صامتة ..

أما والدتها فلم يبد عليها الاندهاش للحظة واحدة .. كانت وكأنها تعلم وتتوقع ما قالته (نانا) بالحرف الواحد ..

« هل كان الأمر بهذا الوضوح ؟ » تساءلت (يارا) « إذن لماذا لم أفهم ؟ »

هل كانت ساذجة لهذه الدرجة أم كان شيء آخر ؟

ردت أمها على (نانا) قائلة إن (يارا) مخطوبة .. لم تفكر (يارا) مجرد التفكير فى إنكار خطبتها لـ (عابر) ، أو تأكيد أنها لم تحدث بعد كما كانت ستفعل فى أى موقف آخر ..

بل أحست وهى تسمع اسم (عابر) مقترنًا باسمها .. بأن بإمكانها الاعتماد عليه ، على اسمه فى تعضيدها وحمايتها ..

شعرت بأنه إنسان حقيقى يخصها وتخصه .. وليس مجرد اسم تلقى به فى وجه سيدة مثل (نانا) أو رجل مثل (عمر) .. وأن خطبتها ليست مجرد

كلمات تُلقى فى الهواء لتبعد عنها أطماع الآخرين وشرهم ، ولكن حقيقة واقعة ..

لم تتأثر (نانا) بكلام أم (يارا) .. وظلت تتحدث عن (عمر) ومميزاته وثروته ، أرادت (يارا) أن تتدخل فى الحديث وأن تقول لها إنها ليست معروضة للبيع ..

أرادت أن تسألها ولم لا تتزوجه هى وهو فى مثل عمرها تقريبًا ؟ وإن كان لها بنت هل كانت تقبل تزويجها لرجل فى عمر أبيها ؟ لم تقل (يارا) أى شىء ، جلست تنصت وهى تغلى من الغضب ..

كانت أمها تتعامل باقتدار مع هذه السيدة المجربة واستغربت (يارا) هذا ، كان وجهًا جديدًا لم تره من أمها .. شعرت كأن أمها تخوض معركة من أجلها ..

ولكن لماذا لم تطردها من البيت على الفور ؟ لم تفهم (يارا) سبب تصرف أمها ، لكنها كانت على يقين من أن أمها تقوم بفعل الصواب ..

* * *

عندما غادرتهما (نانا) كانت (يارا) تشعر بالضيق ولم تكن تشعر بالأمان تمامًا .. كانت تحتاج لشىء آخر يطمئنها إلى أن (عمر) لن يأتى وراءها مرة ثانية .. لن يعتقد أن بإمكانه محاولة محادثتها .. أو ...

أو الزواج منها ..

فكرت فى (عابر) .. أرادت رؤيته ..

كانت هذه أول مرة منذ عرفته تشعر بهذه الرغبة الملحة فى رؤيته وسماع صوته .. تمنت لو تملك الجرأة للاتصال به والتحدث معه ، ولو على الهاتف وحسب ..

كان ميعاد لقائه بإخوتها قريبًا .. قريبًا جدًا ، لكنه لم يبد لـ (يارا) قريبًا بما فيه الكفاية ..

أرادت أن يأتى الآن فى نفس هذه اللحظة ..

ويخبرها أنه يريدها أن تصبح شريكة حياته ..

أنها الإنسانة التى يتمنى قضاء عمره معها ..

كانت تلك هى كلماته لها ولم يكفها تذكرها ..

مجرد تذكرها ..

كانت تريد سماعها منه الآن مرة ثانية ..

لكن الأمانى شىء والواقع شىء .. ففى الواقع كان عليها أن تنتظر .. وانتظرت .

* * *

جاء (عابر) لزيارة أسرة (يارا) ، وتقابل مع أخويها .. كانا متعجلين لإتمام كل شىء وكأن (يارا) « حمل ثقيل على أكتافهم ويريدون إزاحته » ..

برغم أنهما قلما سألا عنها هى ووالدتها أو جاءا لزيارتهما ..

ضايق هذا (يارا) ، كانت تريد أن تشعر بأنها ثمينة ، غالية وأن أخويها سيدققان كثيرًا قبل أن يوافقا على أى شخص ..

ألجمت (يارا) لسانها وحبست اعتراضاتها داخلها .. وقالت « لا يهمنى أى شىء ، المهم أنى سأتزوج (عابر) .. »

كانت والدة (عابر) سعيدة بـ (يارا) وكانت هى الأخرى سعيدة بها لولا نظراتها الانتقادية لقوامها النحيل وتلميحاتها أنها تحتاج إلى أن تتغذى ..

تمت قراءة الفاتحة وليست (يارا) خاتمًا ذهبيًا أهداها إياه (عابر) بهذه المناسبة ، وحددوا ميعاد الخطبة فى إجازة نصف السنة .. أما ميعاد الزفاف فلم يتحدث أحد عنه ،كانوا جميعًا على علم باعتراض (يارا) على الجمع بين الزواج والدراسة ،

لذلك لم يتم فتح الموضوع خاصة وأن ردود فعلها غير متوقعة ..

* * *

جاء (عابر) لزيارتها بعدها بيومين وسعدت بهذه الزيارة خاصة وأنه أبدى اهتمامًا محببًا بدراستها ، وطلب منها أن تريه نماذج من عملها .. كانت (يارا) قد تمنت أن تريه بعض أعمالها ، لكنها لم تكن تعرف كيف تفعل دون طلب منه لهذا كانت فرحة بطلبه ..

كانت (يارا) جد فخورة بكل ما ترسمه أو تنحته أو تشكله بأى طريقة كانت ..

وفى العادة لم تكن تهتم لنقد الآخرين أو آرائهم ، قد تغضب منها أو تحزن أو تفرح لكن على أساس اقتناع الآخرين بها من عدمه ، وليس على أساس أن عملها سيئ ..

كانت تحب عملها ولم يكن هناك عيب فى ذلك .. كانت مقتنعة بكل ما تقوم بعمله حتى إن نقد أساتذتها فى الكلية كانت تأخذه على أساس أن الفن نسبى وتختلف فيه الآراء ..

وإن كان لهم رأى فإن لها هى الأخرى رأى ووجهة نظر ، ولم يثبط همتها أنها صغيرة السن أو أن خبرتها محدودة ، فقد كانت مقتنعة بموهبتها ، نعم هى تحتاج لتوجيه وصقل وتدريب ، ولتنمية موهبتها ، لكنها لا تحتاج لأن تخلع من جذورها ..

برغم كل هذا وبرغم قناعات (يارا) إلا أنها شعرت بأنها تنتظر حكم (عابر) على أعمالها فى قلق وأنها تترقب رأيه ..

كانت تتمنى أن تعجبه ، هى تعرف أنه ليس متخصصًا وربما لن يفهم بعض أعمالها التى تعرض وجهة نظر خاصة بها ، لكنها تمنت أن يحب أعمالها ويشعر بها ..

أخرجت بعض اللوحات القريبة من قلبها وعرضتها عليه ، وبينما هو يشاهد اللوحات راقبت هى تعبيرات وجهه لعلها تستشف رأيه ، وأسعدها تفحصه العميق المتأنى لكل تخطيط أو لوحة بقدر ما أقلقها ..

نظر لها نظرة عميقة وتعلقت عيناه بعينيها ..

ـ إحساسك قوى جدًا ..

كانت نبرة صوته مختلفة قليلاً ، وبدا متأثرًا فعلاً مما جعل قلبها ينتفض من الفرحة ..

فرحت لأنه قدر ما ترسمه وتتمنى أن تجعل منه مستقبلها العلمى .. أنه يشاركها اهتماماتها ، وذلك مع استعدادها الكامل ـ لأجله ـ أن تهتم بعمله وبهواياته ..

أرادت أن تكون البدايات كلها صحيحة ..

تناقشت (يارا) و (عابر) فى كل لوحة الإحساس الذى وصل إليه المعنى الذى قصدته (يارا) ..

الألوان التى استخدمتها ، درجاتها ونوعيتها ، الخامات التى استخدمتها والمواضيع التى تناولتها .. استمتعت (يارا) بالمحادثة أيما استمتاع ، ولم ترد أن تنتهى أبدًا ..

* * *





دق جرس الباب فقامت (يارا) لتفتح .. وجدت الأستاذ (عمر) أمامها ، لم تكن مجرد مفاجأة ، ولكنها كانت كأنها صاعقة ضربتها وأصابتها بالشلل .. لم تصدق عينيها .. لم تصدق جرأته ، بل وقاحته وصفاقته إن أرادت وصف قدومه إلى بيتها بالوصف الصحيح ..

لم تصدق ما يحدث ، فلم يكن فقط آخر شخص تتوقع أن تجده يطرق باب منزلها ، ولكنها كانت قد نسيت كل شىء عنه ، وتخيلت أن أى شىء يتعلق به قد انتهى من حياتها بعد إبلاغها (نانا) نبأ خطبتها ..

حتى إنها ألغت مجرد فكرة الاتصال بمس (توتا) للسؤال عنها بعدًا عن كل شىء له أى علاقة بهذا المكان ..

لم تتحرك (يارا) ولم تفسح له الطريق ، كان واقفًا أمامها فى قمة الأناقة تملؤه الثقة بالنفس ، تراجعت (يارا) وفكرت « بل لأكن دقيقة إنه الغرور هو ما يملؤه .. »

تصاعد الغضب داخلها .. بأى حق يدق على بابها ؟!

بدأ (عمر) بالكلام :

ـ كيف حالك يا (يارا) ؟

كانت نظرة عينيه شبيهة بتلك النظرة التى رمقها بها يوم غيرت تسريحة شعرها وأزعجت (يارا) كثيرًا ، أما نبرته المعتادة فكانت أكثر عمقًا وهدوءًا ، كانت أقرب للهمس .. عاد يتكلم :

ـ أوحشتنا ..

نظرت له (يارا) غاضبة تفكر ، بأى حق يقول مثل هذا الكلام ؟!

عاد يتكلم وكأنه لم يلحظ الغضب الذى يتأجج فى عينيها :

ـ أوحشتنا جدًا ..

زاد تكراره للكلام من غضبها ..

فكرت أن تغلق الباب ، لكنه كان أسرع منها وقد أدرك ما تفكر فيه ، فاقترب وأصبح فى فتحة الباب .. كان أطول منها بكثير ، وبنيانه قوى وممشوق .. اعترفت (يارا) أنه لا عيب فيه شكلاً أما موضوعًا فهذا شىء آخر تمامًا ..

نظر إلى يديها .. فهمت على الفور لم ينظر ..

لم تكن ترتدى دبلة خطبة ، فقط الخاتم الذى أهداها إياه (عابر) يوم قراءة الفاتحة .. أسرعت تغطى ظهر يدها بحركة تلقائية ..

شعرت بأنها لاتستطيع التحرك .. ولكن لايمكن أن تقف هكذا إلى الأبد .. أرادت صرفه دون أن تعرف كيف ..

ـ ماذا تريد ؟

هذا ما تمكنت من قوله ..

رد هو وكأنه لم يفهم مغزى سؤالها الرافض لوجوده :

- هل أستطيع الدخول ! لا يعقل أن أتحدث وأنا على الباب ..

انتظر أن تفسح له أو ترد عليه ، ولما لم تفعل أكمل بابتسامة واثقة :

- أين كرم ضيافتك !

لم تعد تدرى ماذا تفعل .. كان تهذيبه البارد الذى شعرت (يارا) بأنه يحمل قمة الصفاقة والاستغلال لقواعد اللياقة الاجتماعية والإنسانية ، لكن كلامه لم يكن ليمنعها من طرده مع كل هذا ..

هو لم يقل شيئًا خطأ ، هذا صحيح ، لكنها لاتريد استقباله فى منزلها وهذا أبسط حقوقها فى رأيها ..

استدارت تنادى أمها .. كانت تعرف أنها فى منزلها وأنه لا يستطيع إيذاءها ، لكن هذا كله لم يكن ليطمئنها ..

كانت تشعر بالتهديد كلما رأته ..

ملأها شعور بعدم الأمان ، وأزعجها هذا الشعور ، كان هذا هو أسوأ شعور يمكن لـ (يارا) الإحساس به ، وكرهت هذا الشعور الذى طالما طاردها منذ وفاة والدها .. ولم يتركها إلا فى الأيام القليلة الماضية ..

عندما جاءت أمها كان (عمر) قد استغل التفات (يارا) ودخل إلى الصالة .. أرادت (يارا) استمداد القوة من أمها ، نعم هى دائمًا ما أعلنت لأمها أنها تستطيع التصرف وحدها وأنها ليست صغيرة ..

لكن .. لكن هذا الرجل ينبعث منه قدر من الشر تحت مظهره الناعم ، يرعب (يارا) ويفقدها قدرتها

على حسن التصرف ، وهى على استعداد كامل للاعتراف بذلك برغم عنادها المعتاد ..

لم تكن تريد مواجهته .. أرادت الهروب منه بأى طريقة ..

أسرع (عمر) يأخذ بزمام الموقف ، تقدم من والدتها وحياها وأغرقها بمجاملاته المدروسة ، وما إن جلس حتى أخذ يشكر فى (يارا) وأخلاقها وتميزها فى العمل ..

و (يارا) تجلس فى ترقب مشدوهة من قدرته على تجاوز المشاعر الرافضة له منها ومن والدتها ..

- ماذا نستطيع تقديمه لك ؟

سعدت (يارا) بتحدث أمها أخيرًا ..

تكلم (عمر) بابتسامة عريضة :

- قبل كل شىء (يارا) لها أمانة لدينا ويجب أن تأخذها ..

أخرج من جيبه مظروفًا ، وكان من الواضح أنه أجر (يارا) ، كانت نظراته واثقة .. مد يده وأعطاه لوالدتها فأخذته ، فهو على أى حال حق ابنتها ، هكذا فكرت أمها ، لكن (يارا) نفسها انزعجت ، فقد كرهت حتى أن تأخذ نقودها منه .. لم يتكلم (عمر) فاستعجلته أمها وسألته فى ضيق وهى ترغب فى دفعه للانصراف :

- هل هناك شىء آخر ؟

قابل (عمر) ضيق الأم بابتسامة وهو يرد فى هدوء :

- لا أعرف لم (يارا) مصممة على تركنا ، نحن نريدها أن تأتى للعمل معنا ولو لجزء من اليوم وسنجزل لها العطاء .. إن عملها أكثر من ممتاز ، والعميلات يسألن عنها باستمرار برغم قصر الوقت الذى قضته معنا .. وسبق وعرضت عليها هذا ..

ردت أمها فى نفاد صبر :

- إذا كنت ، كما تقول ، عرضت عليها هذا الأمر فلابد أنك تعرف ردها .. نظرت له متحدية قبل أن تؤكد بكلماتها الرافضة الرفض الذى سبق وأن أبدته (يارا) :

- هى لا تستطيع الجمع بين الدراسة والزواج .. والعمل ..

أكدت أمها على كلمة الزواج .. واتسعت ابتسامة (عمر) فى رد فعل فاجأ (يارا) وأمها :

- على ذكر موضوع الزواج .. أنا أرى أن (يارا) لم تخطب بعد ..

أكد كلماته بنظرة فاحصة لبنصريها الخاليين من الدبلة ، أرادت (يارا) الدخول فى الكلام وتأكيد خبر خطبتها ، لكنه لم يعطها فرصة وسارع يكمل :

- أنا أريدها أن تفكر فى عرضى للزواج منها ..

نظرت (يارا) غير مصدقة لما يقوله .. كان كلامه الأول عن عودتها للعمل ولو لجزء من اليوم ،

لايتناسب مع ما يقوله عن رغبته فى الزواج منها .. لم يكن يبدو كرجل يسمح لزوجته بالعمل أو يوافق على عملها ، قررت (يارا) ألا تهتم لكل ما يقول ..

كان هو مازال يتكلم عن اهتمامه بها ، وأنه سيضعها فى عينيه ، وكم ستكون قيمتها عنده ، وكم سيقدرها :

ظل يتحدث لوقت طويل دون أن يترك لهما فرصة للرد عليه ، ثم مد يده وأخرج من جيب الجاكيت علبة خاتم بديعة التكوين ، لكنها لم تقارب لأدنى درجة روعة الخاتم الذى كشفت عنه عندما فتحها (عمر) ليرى (يارا) وأمها ما بداخلها .. خاتم لم يريا شبيهًا له من قبل ، كان من الواضح حتى لعينيهما غير الخبيرتين أن قيمته تفوق الخيال ، وأنه واحد من نوعه ..

كانت الماسة الضخمة فى منتصف الخاتم فائقة الصقل ، أما أحجار الياقوت الحمراء المصقولة الأصغر حجمًا ، والتى تحيط الماسة والذى يتجاوز

عددها العشرة أحجار ، فكانت لاتقل عن الماسة روعة ، وتشكل مع الذهب الأبيض المصنوع منه الخاتم تحفة بديعة لعينى (يارا) الكارهتين لرؤية الخاتم والرافضتين له ..

- عمر بك ..

انتبهت (يارا) مع صوت أمها وأفاقت من تأثير رؤيتها للخاتم ، أكملت أمها فى ضيق :

- اسمح لى .. لانستطيع قبول الخاتم و (يارا) مخطوبة بالفعل فلا داعى لكل ما قلته ..

لم تنجح كلمات أمها فى محو الابتسامة من على وجه (عمر) وبدا أنه لم يصدقها ..

- الخاتم مجرد هدية ولا أستطيع استردادها .. لن يكون له فائدة عندى فقد صنع خصيصًا لـ (يارا) ..

ذهلت (يارا) من كلامه ، أى خاتم هذا الذى لن يكون له فائدة عنده وثمنه لابد أنه يتجاوز عشرات

الآلاف ؟! وكيف صنع لها خصيصًا ؟ أكمل (عمر) كلامه دون أن يغفل تعبيرات (يارا) الواضحة :

- إذا لم تكن قد خطبت بعد فأتمنى أن تفكر فى عرضى ..

ضايق (يارا) استمراره فى تكذيبهما ، وأرادت الرد عليه بغلظة ، لكنه استمر فى الكلام وكأنه لم يتهمهما بالكذب منذ لحظة :

- وإذا كانت قد خطبت فاعتبروه هدية الخطبة ..

ترك (عمر) الخاتم على المائدة وقام لينصرف ..

- تشرفت بمعرفتك يا هانم ..

وجه كلامه لأم (يارا) وانحنى انحناءة خفيفة :

- أرجو أن أراك قريبًا ..

كانت كلماته تلك لـ (يارا) وانحنى بتهذيب لها هى الأخرى ثم انصرف ..

جلست (يارا) فى مكانها للحظة مشلولة التفكير، ثم خطفت الخاتم من على المائدة وتبعته :

- عمر بك ..

استوقفته فى لهجة حادة فتوقف فى مكانه أمام الباب، والتفت ينظر إليها .. أكملت بنفس الحدة :

- إنه يخصك وأنا لا أريده ..

مدت يدها تعطيه إياه .. فمد يده يغطى ظهر يدها بكفيه الكبيرتين يشدد من قبضتها على العلبة وقال :

- اقبليه أرجوك ..

سحبت (يارا) يدها بسرعة منتفضة من لمسته، فسقطت العلبة على الأرض ..

- إلى اللقاء يا (يارا) ..

لم ينظر حتى للعلبة التى سقطت على الأرض، ولم

تنحن (يارا) لالتقاطها .. فتح الباب وغادر بعد أن شملها بنظراته من قمة رأسها إلى أخمص قدميها ..

* * *



١٣

لم تستطع (يارا) إلا أن تلوم أمها ..

لم تعرف هل عليها أن تناديه من الشرفة وتلقى الخاتم فى وجهه ولو شاهدها كل من بالشارع، أو قبل ذلك تسرع باتباعه على السلم وترجع الخاتم له أو ...

كان الوقت قد فات لفعل أى شىء، فقد كان بإمكان (يارا) سماع صوت سيارته وهى تنطلق بعيدًا عن مكانها أمام العمارة حيث تركها ..

كرهت (يارا) الانحناء لالتقاط علبة الخاتم، نظرت للعلبة الملقاة وكأنها جمرة نار ستحرق البيت وتحرقها معه .. قررت أن هذا الخاتم لن يبيت فى المنزل مهما حدث ..

- كيف أخذته ؟

سألت أمها فى لوم والدموع تتجمع فى عينيها، شعرت بالانكسار ..

- أنا أخذته ؟!

استنكرت أمها اتهامها لها وردت فى حيرة :

- أنا لم آخذ شيئًا، ألم تكونى جالسة معى ؟! أنا لا أعرف كيف دخل وكيف انصرف .. ما هذا الرجل ..

خافت (يارا) أن تكون أمها قد تأثرت بـ (عمر) فردت فى حدة :

- لا أعرف ولا أريد أن أعرف .. لكن هذا الخاتم لن يبقى لحظة أخرى فى البيت ..

فكرت (يارا) إنها هى الأخرى تستحق اللوم، لماذا لم تطرده على الفور ؟

لماذا تركته يقول كل هذا الكلام عنها وعنه ؟

لماذا لم تفعل أى شىء ؟

لماذا انتظرت أمها تتصرف ، وجلست هى كأنها بلا حول ولا قوة ؟

انحنت أمها والتقطت العلبة وهمت بفتحها ، صرخت (يارا) قائلة :

- لا .. لاتفتحيها ..

لم تكن (يارا) تريد رؤية الخاتم ، ليس لأنها تخاف أن يغريها فتستبقيه أو تقبله أو تتأثر به أو بصاحبه ، لكن لأنها كرهته وكرهت أن يقع نظرها عليه مرة أخرى ..

كان وكأنه ثمن يدفع فى جارية ، وهو ليس ثمناً يدفع فيها ، وهى ليست جارية تباع وتشترى ..

تنبهت للهجتها الآمرة ولارتفاع صوتها فأكملت بصوت منخفض :

- أرجوك ، لا أريد رؤيته مرة أخرى ، سأرتدى ملابسى حالاً وأذهب لأعطيه لمس (توتا) لتعيده إليه ..

- لا ..

رفضت أمها بلهجة قاطعة ..

- لا ؟!

تعجبت (يارا) من رفض أمها ، ونظرت لها متشككة ، أيعقل أن أمها تأثرت بكلام (عمر) ؟!

وبعرضه السخى للزواج منها .. أو إعطائها الخاتم كهدية خطبة ؟!

بكلامه وتلميحه عن ممتلكاته .. التى ستصبح ملك يمينها لو قبلت الزواج منه ؟

لم تفهم (يارا) سر اهتمامه بها ..

ولماذا هى ؟!

كانت الفتيات فى كل مكان حوله ، وربما كانت الكثيرات على استعداد لمقابلة عرضه بترحاب بالغ ..

وقد يكون هذا قد حدث بالفعل ..

لاشك أنه سبق له الزواج .. ويعلم الله كم مرة ..

فما السر وراء مطاردته لها ؟!

لماذا يهتم ؟ إن كانت هى رفضته فألف يتمنينه ..

ـ لن تذهبى أنت ..

أفاقتها أمـها من أفكارها .. بدأت (يـارا) تهـدأ « إذن هـى ترفض فقط أن تذهب هـى لتوصيل الخاتم .. »

ـ سأذهب أنا وأعيده لـه أو أتركـه لمس (توتـا) أو (نانا) .. لكن أنت لا ، لن أدعك تذهبين بقدميك إليه ..

خافت (يارا) ، واقترحت على أمها قائلة :

ـ لم لا نخبر إخوتى أو (عابر) ويتصرفون هم ؟

طمأنتها أمها على الفور :

ـ ولِمَ ؟ لا داعى لكل هذه الضجة .. لن تكونى أول فتاة يتقدم رجل لخطبتها ، سأنهى هذا الموضوع ..

خرجت أمها وظلت (يارا) وحدها فى المنزل ..

تمنت (يارا) أن ينتهى الموضوع كما قالت أمها ودعت اللـه طويلاً .. كان قلبها المتشكك وأفكارها السوداء تضيق الخنـاق عليها ، وتوسوس لها بأن هذا الموضوع لن ينتهى على خير ..

استعاذت باللّـه من الشيطان الرجيم .. تساءلت : « لم لا ينتهى على خيـر ؟ أنـا لم أفعل أى خطـأ ولا أستحق أن يصيبنى أى شرّ من (عمر) هذا .. »

قامت (يارا) وتوضأت وصلت مما جعلها تستعيد هدوءها وثقتها بأن كل شىء سيكون على ما يرام ..

ومع ذلـك قـررت أن تخـبر (عـابر) فيمـا بعـد بالموضوع كله ..

* * *

عندما ألبسها (عـابر) الدبلة فى الحفل العائلى البسيط الذى أقاماه للاحتفـال بخطبتهمـا ، تذكـرت (يـارا) الخـاتم الـذى قدمـه لهـا (عمـر) ، فكـرت ساخرة ، بالتأكيد لم يخطر بباله للحظة أن يكـون

-هدية خطبتها لـ (عابر) كما قال ، لكنه تخيل أنها لن تستبدله بهذه الدبلة الذهبية البسيطة لكنها فعلت ..

عندما عادت أمها فى هذا اليوم دون الخاتم شعرت (يارا) أن همًّا ثقيلاً انزاح من على صدرها ، وأن هذا الموضوع لابد قد أقفل ..

* * *

اتفقت (يارا) على الزواج بعد انتهاء السنة الدراسية الثانية لها فى الكلية .. كانت قد تخطت السنة الأولى بنجاح ، ومرت الشهور الأولى فى السنة الثانية دون مشاكل تذكر ..

وازدادت معرفتها بـ (عابر) ، ودرست شخصيته وآراءه ، وعمله ، وشعرت بأنه يقدر مسئولية كل كلمة يقولها ..

شعرت بثقة لا حدود لها فيه ..

وأنه سيكون عند وعده لها فى الاهتمام بدراستها ومساعدتها فى أمور المنزل ..

كان كل يوم لهما معًا يقربهما من بعضهما ويجعلها تثق أكثر وأكثر بحسن اختيارها وقرارها بقبول الزواج من (عابر) ...

* * *

فى يوم زفافها ، وهى تزين نفسها ، تذكرت (يارا) فرحة عشرات العرائس اللاتى قامت هى بتزيينهن ..

كانت قد ارتدت فستانًا ذا تطريز رقيق على الصدر وله تنوره واسعة فضفاضة ..

كانت قد تركت شعرها يطول قليلاً ولم تقم بعمل أى تصفيفة معقدة به ، بل تركته على طبيعته ولبست تاجًا رقيقًا وطرحة قصيرة ..

أما ماكياجها فكان أكثر من رقيق ، لم تستسلم للنصائح التى حاول الجميع إسداءها لها بتكثيف الماكياج كى يظهر وجهها فى الصور الفوتوغرافية ..

كانت تعرف ماذا تريد فى هذا اليوم الذى حلمت به طويلاً .. من يوم لقائها بـ (عابر) ، وهى تتخيل وتحلم ، وها هو ذا حلمها أمامها ..

كان رأى كل من رآها فى هذا اليوم أنها أجمل عروس وقعت عليها عيناه .. أما (عابر) .. فقال لها أجمل كلام سمعته أذن ..

شعرت (يارا) بسعادة صافية ، وبأنها لم يعد لديها أحلام مؤجلة ، فقط أحلام فى طريقها للتحقق ..

تقدم منها (عابر) ونظراته تمتلئ بالحب والسعادة ، بدا كأنه امتلك الدنيا بين يديه وهو يمد يده ويأخذ يديها عندما وقفا أمام المصور ..

تبادلت (يارا) معه النظرات وأخذت الصورة ، دون أن يفكر المصور فى تغيير طريقة وقوفهما أو تعديل أى شىء .. لم يتكلم المصور ، فقط التقط الصورة التى وضعتها (يارا) فى إطار من تصميمها

فى مكان بارز بالشقة التى أخذت منها ومن (عابر) الكثير من الوقت فى اختيار كل تفصيلة بها ..

بعد سنوات قليلة أضيف إلى جوارها صورة أخرى لـ (يارا) و (عابر) وهما يحتفلان بنجاحها فى الكلية ، وبعدها بوقت قصير كانت صورة طفلهما الأول قد وضعت هى الأخرى إلى جوارهما ..

جلست (يارا) إلى جوار (عابر) وقد أسندت رأسها إلى كتفه ، وقد تأبطت ذراعه وهى تفكر فى أنها نالت كل ما تصبو إليه إن لم يكن أكثر .. حمدت الله كثيرًا على نعمه التى غمرها بها ..

قالت لـ (عابر) بصوت خافت وهى تتنهد فى سعادة :

ـ هل تعرف ما هو أروع شعور فى الدنيا ؟

نظر إليها فرفعت هى الأخرى رأسها تنظر إليه قبل أن يقول :

ـ أجل ، ما أشعر به الآن ..

اعتدلت (يارا) قليلاً وتكلمت بجدية :

- أنا أتكلم عن اسمه .. هل تعرف ما هو ؟

- الحب ؟

هزت (يارا) رأسها وقالت :

- لا ..

فكر قليلاً وأضاف :

- السعادة ؟

عادت تهز رأسها بالنفى ..

- .. الاكتفاء ؟

- لا ..

نظر لها متعجبًا وقال :

- حيرتنى ، هل هناك شىء آخر ..

ابتسمت له قائلة :

- بالتأكيد ، هناك شىء أهم ..

عادت تتنهد فى سعادة وتسند رأسها إلى كتفه فى هدوء وتحيط ذراعه بيديها وأكملت قائلة :

- الرضى ..

* * *

النهايـة

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى





منى منصور

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

يارا

كانت يارا ثائرة ومتمردة وتشعر بأن شيئًا ينقصها .. لكن ما هو ؟ هل هو الدراسة ؟ هل هو العمل ؟ أم أن هناك شيئًا آخر ؟ هل ستجد يارا ما ينقصها ؟ وإذا وجدته هل ستشعر بالسعادة والرضى ؟!

96

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن في مصر ٢٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

